العدد الثانى عشر من السنة السادسة محرم سنة ١٣٦٥ — ديسمبر سنة ١٩٤٥

مجلة
الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

مدير التحرير : حسن الشريف

تليفون ٨٥٣١٢

المطبعة الأميرية بالقاهرة
١٩٤٥

فى هذا العدد

		صفحة
الرسالة الملكية السامية فى أول العام الهجرى		٣
تربية الذوق الفنى بين الجماهير ...	لحضرة صاحب المعالى عبد المجيد بدر بك وزير الشؤون الاجتماعية	٥
الفن	لحضرة صاحب السعادة الدكتور محمد حسين هيكل باشا	٦
عناصر الإيمان فى قلوب الشباب...	لحضرة الأستاذ محمد توفيق دياب	٨
مشاكل الخدمة الاجتماعية فى مصر	« « فتح الله المرصفى	١١
الحقوق الإنسانية	« الدكتور محمد غلاب	١٦
سياسة قتل الوقت	« الأستاذ سيد قطب	٢٣
لكى نخلق ذوقا فنيا	« « زكى طليمات	٢٨
الإحسان وروح العصر	« « ابراهيم ابراهيم يوسف ...	٣٢
من صرحنا الاجتماعى	« « محمد عبد الرحيم	٣٦
الرحمة بالحيوان	« « وديع فلسطين	٤١
علم الأمومة والأبوة والزوجية ...	« « عريان يوسف سعد	٤٨
نظام الأسرة فى مصر	« السيدة نفيسة علام	٥٤
معاول الهدم	« الأديب عيسى متولى	٥٨
ذوق الجمال...	« محمد محمود حمدان...	٦٢
الإصلاح الزراعى الصناعى فى روسيا	« الأستاذ يحيى حريدى	٦٦
تجميل الريف المصرى	« « فاضل جورجى	٧٢
الأمومة (قصة)	« « مختار الوكيل	٧٦

الرسالة الملكية السامية

التى تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم " فاروق الأول "
بتوجيهها إلى الشعب المصرى والعالم الإسلامى فى يوم عيد الهجرة المبارك
" غرة المحرم سنة ١٣٦٥ هجرية "

شعبى العزيز :

فى هـذا اليوم الذى نستعيد فيه ذكرى الهجرة المجيـدة ، يسرنى أن أهنئكم والعالم الإسلامى بهذا العيد السعيد عيد الإسلام والإنسانية ، وأن أبعث إلى الشعوب العربية بتحية عيد الهجرة ، وبخير ما أرجوه لها من التوفيق والنجاح .

إن حادث الهجرة من جسيمات الحوادث التى يزيد مر الأيام ذكرها ، ويكشف عن قوتها وعظمتها ، غير مجرى التاريخ وخرج بالإنسانية من ظلمات الجهالة إلى نور الهداية ، وأفاض عليها من الخير والبركة مالم يكن لها به عهد من قبل .

فلا عجب أن يتخذ الناس يوم الهجرة عيدا على الأيام ، ويوما من أيام الإسلام ، توطدت فيه دعائم الحق والحرية والإخاء ، وكان حدا فاصلا بين الذلة والعزة والضعف والقوة .

شعبى المحبوب :

إننا حين نكرم الهجرة ونحتفل بها إنما نكرم ما انطوت عليه من عبر وعظات ، وما انطوى عليه صاحبها صلوات الله عليه من مبادئ وصفات ، ولكن الاحتفال بالمبادئ والمعانى لا يكون إلا باعتناقها والتفانى فى سبيلها .

وإذا كان عامنا يبدأ بذكر الهجرة فى سبيل الله والحق فلا يكون سعينا إلا للحق وحده ، حق الله فى أن نعبده ، وحق الوطن فى أن نصونه ، وحق الإنسان فى أن يعيش حرا ، وحق العروبة فى أن تصل حاضرها بماضيها الحافل بأسباب العظمة الغابرة .

وليكن دأبنا أن نوفر العـدل والحرية لغيرنا لكى يتوافر العدل والحرية لنا ، وأن نؤدى الواجب ، فإن أداء الواجب أقصر الطرق إلى أخذ الحقوق .

شعبى العزيز :

إن الدين المعاملة ، فلتكن معاملتنا مع الضعيف حسنا ، ومع المريض عطفا ، ومع الفقير عونا ، ومع الجاهل تعليما ، ومع العامل تكريما ، ومع المتعطل عملا .

فما أجل الهجرة وما أحقها بالإكبار والإعظام ، فهى عيد الأمل ، وعيد الإيمان .

والسلام عليكم ورحمة الله ،

أعدت "مصلحة العمل" مجموعة من الرسالة الملكية السامية التى تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم بتوجيهها إلى شعب المصرى والعالم الإسلامى فى يوم عيد الهجرة المبارك . والتى توج بكلماتها الكريمة هذا العدد ، ووضعت كل صورة منها فى إطار خاص لتعلق فى ردهات جميع مكاتب العمل التابعة للمصلحة فى سائر أنحاء القطر ، لتكون رمزا عاليا للتوجيه السامى لمصر العاملة نحو الحياة الاجتماعية الصحيحة .

تربية الذوق الفنى بين الجماهير

نص الكلمة التى تفضل معالى الأستاذ عبد المجيد بدر بك ، وزير الشؤون الاجتماعية بالإفضاء بها إلى جمهور المستمعين فى المناظرة التى أقامتها ادارة الدعاية والارشاد بمسرح حديقة الأزبكية والتى كان موضوعها " لكى نخلق ذوقا فنيا يجب ألا نهبط بالفن الى مستوى العامة " .

أيها السادة . . أشكركم جميعا على تحملكم مشقة الحضور واهتمامكم الزائد بهذا الموضوع الذى أرادت الوزارة باثارته فى هذه المناظرة تعرف ميول الرأى العام نحوه .

ولقد سمعت بدورى آراء الطرفين واحتفظت بحيادى طيلة هذا الوقت وإذا كنت قد أبديت اعجابى بأحد فقد عجبت لأن يكون الأمر ما زال ملتبسا حتى الآن ويذكرنى هذا بقصة سمعتها فى شبابى تتلخص فى أن أحد المحامين الأحداث طلب من أستاذ قديم له أن يدربه على قضية مقابل مبلغ مائة جنيه وأتم الرجل تدريبه ولكن المحامى الشاب لم يف بوعده فرفع عليه الأستاذ قضية ومثلا أمام القضاء فقال المحامى الصغير فى نفسه " إذا أنا ربحت القضية فهذا حق واذا أنا خسرتها فكأنه لم يدربنى كما يجب "وقال المحامى الأستاذ" إذا أنا ربحت القضية فقد وجب أن يدفع وإذا خسرتها فقد أتم تدريبى له " .

نحن الآن فى مثل هذه الحيرة كلاهما بارع فى المقال وفى تفنيد الأدلة والبراهين ولكنى تبينت شيئا واحدا أرجو أن يفطن اليه الجميع " ليس المقصود من الهبوط بالفن أن نهبط به ونحدر ولكن أن نهبط بأسلوبه وطريقة التعبير به ليمكننا تأدية الرسالة بوجه أعم" وهذا أمر مسلم به وقد حتمته طبيعة الأديان سواء فى الأمر أو فى النهى وذلك بمتابعة طبيعة الإنسان وقد جاء فى الحديث النبوى الشريف "خاطبوا الناس على قدر عقولهم" وكما جاء فى الكتاب العزيز" وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه " وقد سلم أخى صلاح بأن الزجل وهو لغة شعبية يعد أدبا رفيعا .

لذا فأنا أرحب بالهبوط فى الأسلوب وأداة التعبير، اما إذا كان القصد بالهبوط الاتجار واستثارة الغرائز الوضيعة فهذا مالا أقبله على الاطلاق .

و يوسف وهبى بك نفسه كان من حقه بحكم حسبه ونسبه ألا يتعلق بالفن ولا يشتغل به وقد منعه أهله كثيرا ولكن بدون جدوى فقد وجد نفسه أحق بالفن فتعلق به وشق طريقه فيه الى الأمام وهو لم يمنح من المليك رتبة البكوية لأنه أسف فى فنه وهبط بمستواه

وأنا مع كل فن نسمو اليه ولست مع أى فن نهوى اليه .

الفن

كلمة لحضرة صاحب السعادة الدكتور محمد حسين هيكل باشا

" نص الكلمة التي ألقاها سعادته في إحتفال معهد التمثيل العالي
بافتتاح موسمه الفني يوم ١٥/١٢/١٩٤٥ بدار المعهد "

إخواني :

لم أجيء الليلة متكلما ، وإنما جئت مستمعا ، وانى لأعتقد أن كل مؤازرة للفن وتشجيع له عمل وطني صادق ، وأن الفنانين جديرون بأن تكون قلوبنا مع قلوبهم وأيدينا مع أيديهم لتنهض الفنون في وطننا النهضة الواجبة .

ذلك لأن الفن أيا كان مسرحيا أو أدبيا أو غنائيا عنوان من عناوين حضارة الأمة في كل زمن وفي كل بلد .

وحسبي أن أقول في هذا الباب أن البراعة قد تكفي الطبيب للامتياز في عمله ، وقد تكفي القانوني للتفوق في ميدانه ، وقد تكفي غيرهما من الناس ، أما رجل الفن فإنه في حاجة الى ثقافة فسيحة ان لم تتوفر له استحال عليه أن يؤدي للفن واجبه .

فرجل الفن لا يعبر عن مشاعر نفسه وانما يعبر عن مشاعر الانسانية مجتمعة في نفسه ، ولهذا يجب أن يحيط بخواطر الانسانية في عهده . وهذا الموسيقي الذي يضع لحنا من الألحان معبرا عن فرح أو حزن انما يهز قلوبنا هزا لأن قلبه احتوى قلوبنا معه .

ودور الممثل عظيم في باب الفن والارتفاع به ، وانى لأذكر في هذا الباب مشاهدة حدثت لي أثناء اقامتي بباريز . فقد حضرت رواية اضطلع بدور البطولة فيها ممثل فرنسي ممتاز لذلك العهد . وقد ترك تمثيله في نفسي من الأثر ما حبب الي شهودها في اليوم التالي . ولم يكن إعجابي مقصورا على التمثيل ، بل اقتنعت بأن موضوعها وتأليفها ممتازان وأنهما تعالج مشكلة اجتماعية خطيرة .

لكن الأقدار شاءت في اليوم التالي أن يحل محل الممثل لدور البطل ممثل آخر . وهنا فقدت الرواية في نظري قيمتها . وخيل إلي أنها ليست من الامتياز في شيء .

و — إذن — فليس المؤلف وحده هو الذى يجلى الآراء والأفكار ، ويرتفع بها فى عالم الفن والبيان ، بل إن الممثل الذى يمثل الآراء فى نفسه ، ويندمج فى المؤلف هو الذى يستطيع أن ينقل الآراء الى الجمهور نقلا ، ويجعلنا معجبين بالموضوع والتمثيل فنصفق له .

وقوم هذه مهنتهم لا يمكن أن يؤدوها إلا إذا اتسعت ثقافتهم وانكم معشر الشبان يجب عليكم أن تتوفروا على الثقافة حتى تستطيعوا أن تؤدوا أدواركم فى نجاح . والشباب عهدكم يتسع لكل شىء . وإن ساعة الشباب بيوم من أيام الشيخ . فاقتنصوها فرصة لتوسيع مداركم ، وإفساح مدى ثقافتكم — يومئذ يخرج منكم الممتازون ، وتؤدون للفن فى مصر والعالم العربى حقه — بل ترتفعون الى مكانة الفنانين العالميين .

قال فردريك الأكبر ، عاهل بروسيا :

انه ليزهينى أن أتنازل مرتاحا عن أكبر مجد كسبته فى معركة حربية ، على أن يكون لى مجد تأليف رواية مسرحية كرواية (بوليكت) .

عناصر الإيمان فى قلوب الشباب*

من محاضرة للأستاذ الكبير محمد توفيق دياب

بدأ الأستاذ الكبير محاضرته ببيان الصلة بين الشباب والايمان وقال إن العصر الحديث لا يزال يتخذ الاصطلاح القائل بإيمان العجائز دليلا على التعلق بالسنن القديمة والعادات الغابرة وعلى التقى والورع الذى يوحى الى النفس معنى الشيخوخة ويناقض فيها معانى القوة والحيوية .

ثم وصف حيرة الشباب فى هذا العصر وسط غواية المادية ومفاتن الشهوات وتغلب المصالح الشخصية . وعزا عدم توافر أسباب التعلق بالمثل الأعلى ونشدان الكمالات الانسانية الى تلك الحيرة الناشئة عن صراع المادة والشهوات .

وناشد الشباب المستمع من الجنسين — وهم الأبناء الذين يقتضيهم ناموس النشوء والارتقاء أن يكونوا أصلح من الآباء — أن " كونوا أبناء عصركم فى كل جد ولا تكونوا أبناء عصركم فى كل هزل" وأن على الشباب أن يطفر الطفرة التى يزعم الزاعمون أنها محال .

ثم قال إننا استدبرنا ماضيا طويلا من الألم ، فالواجب أن نواجه مستقبلا مديدا من الأمل ، ومن الأمل المقترن بالعمل ، ولكن اى أنواع الأمل واى أنواع العمل ؟

ليس هو الأمل الذى ينتهى عند وظيفة من الوظائف أو ديوان من الدواوين . فهذا أمل خداع لم يكسب منه الشباب شيئا .

وكذلك ليس هو العمل الذى يحقق رغبات النفس وحسب ، بدون التفكير فى نفع الغير والإحسان إلى الآخرين .

ولن يتاح الأمل أو يتحقق العمل بغير الإيمان الراسخ فى النفس . ووازع الإيمان هو شعورك فى كل حين أو فى أغلب الأحيان بأن رباطا وثيقا يربطك بمصدر وجودك ، بتلك القوة العليا التى أرسلتك الى الدنيا ، لتبلو سعيك وجهادك ، وتدفعك إلى أداء الرسالة التى حملتك إياها بما أفاضته عليك من نفحات الإنسانية ومزاياها .

* عنوان المحاضرة التى ألقاها حضرته فى قاعة بيورت بالجامعة الأمريكية فى البرنامج الثقافى الذى أعدته ادارة العناية والارشاد الاجتماعى بالوزارة وقد اقتبس مندوب المجلة ما ورد فى المقال .

وكل عمل يؤيده لإيمان هو شيء باق جدير بالخلود . و إذا كانت الفرائض السماوية لاتخرج فى ظن بعض الناس عن كونها عبادة آلية بغير تعاطف و بغير شعور . فكيف بالأعمال الدنيوية التى تتسلط عليها غريزة حب الذات ودوافع البقاء ؟

إن الغريزة أثرة والإيمان إيثار ، تلك منحة الأرض وهذا منحة السماء . والإنسان " بناء من طابقين أعلاهما الإيمان وأسفلهما الغريزة " فالواجب على الشباب أن يكون دائما فى جانب الإيمان ، وأن يرجح عناصره فى نفسه على طبائع الغريزة فى عماقه . فيعيش لوطنه واغيره قبل أن يعيش لنفسه وليس الفرد شيئا فى ذاته إلا بالمجتمع ، وناموس الترابط والتآخى يحتم أن يكون كل إنسان لكل إنسان ، وكل مواطن لكل مواطن والحياة العالية بذل من ذات النفس فى سبيل المجموع .

ثم أوضح الأستاذ أن الإنصراف عن الغريزة " لانريد به أن تموت الغرائز " فانها شيء من صميم التكوين البشرى لاسبيل إلى فصله ، بل يريدها " أداة تخدم الايمان ولا يخدمها الايمان " .

ولا يجوز أن يكون الجهل بحقيقة تلك الروح السلوية التى هى مستودع الايمان فى النفوس ، سببا فى إنكار حقيقة الايمان . فجهل أرسطو بالأعصاب لم يلغ الأعصاب ، وجهل الطب بسر الدورة الدموية لم يلغ لدورة الدموية . فالجهل بحقيقة الروح لا يمكن أن يساق دليلا على عدم وجود الروح ، أو وجود الايمان .

وقد كان إنكار الحقائق الروحية سر الشقاء الدنيوى والصراع الدائر بين الانسان وأخيه الانسان .

فاجدر بالشباب أن يجتهد فى اكتناه هذه اللطائف الربانية المودعة بكل صدر . وقد آن للانسانية جمعاء أن تبلغ الرشد فى هذا العصر ، فتنبذ غرائزها البدائية المتوحشة وتتطلع إلى معانى الحق والخير والكمال .

ثم أشار الأستاذ المحاضر بعد ذلك الى نبوءة الكاتب الانجليزى الكبير H. G. Wells التى تنبأ فيها باقتراب الساعة وفناء الأرض ، وهو يرى أن الانسان الحاضر أصبح عاجزا عن ان يتكيف بالبيئة والمحيط ، ويدعم هذا الرأى بحقائق ثابتة فى علم الحياة وتاريخ الإنسان ويخرج منه بأن المحيط البشرى على وشك أن يصمه إنتاج الذر ، الذى يسرع به إلى الفناء ... نخالف ولو فيا ذهب إليه ، وذكر أنه يؤمن بأن الإنسانية مايزال أمامها مراحل طوال قبل أن يحيق

بها الزوال. ولن تبرح الإنسانية كوكبها حتى تؤمن بربانيتها . وإن النوع البشرى تلميذ فى مدرسة هـذا الكوكب وسوف تبقى المدرسة حتى " يتخرج " التلميذ ، وهو محتاج لكى يتخرج إلى ألوف السنين .

وأسرار الخليقة أكبر من أن يحيط بها علم بشرى ، فمازال المجهول منها أضعاف المعلوم والإيمان وحده هو الحافز على ارتياد آفاق المجهول والتطلع إلى عوالم جديدة من العلم والمعرفة

وختم الأستاذ حديثه بهذا السؤال : متى يعرف الناس حقائق أنفسهم كما عرفوا حقيقة الذر وحقيقة العفن والفطريات ؟

متى يعرف الشباب انه روح قبل أن يكون جسما أو شهوة . ومتى يعرف حقيقة روحه بما تزخر به من إيمان وأنس ويقين ؟ ؟

"تعقيب"

وقد تفضل معالى وزير الشؤون الاجتماعية فرد على هذا السؤال بجواب بليغ استمده من كتاب الله العزيز حيث يقول : " سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق " .

وما نيـل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال إذا الإقـدام كان لهم ركابا

" شوقى "

مشاكل الخدمة الاجتماعية فى مصر(*)

بقلم الأستاذ فتح الله محمد المرصفى
مفتش التعليم بمصلحة السجون

سيداتى وسادتى

شرفتنى وزارة الشؤون الاجتماعية بدعوة خاصة ليكون لى حظ المساهمة فى التحدث اليكم عن مشكلاتنا الاجتماعية. وما سوف نتناوله فى أحاديثنا المقبلة بنوع خاص مشكلة إجرام وتشرد الأحداث، أسبابها وعواملها وطرائق علاجها والوقاية منها .

إذ من المعلوم أنه كلما اشتد ألم الانسان من العلة كلما نشط الى طلب الشفاء والبحث عن أسبابه، وهكذا الحال فى كل من العلل والأدواء الاجتماعية، إذ كلما كثرت أضرارها ووضحت عيوبها وزاد التألم منها تحقق دنو الإصلاح ورغب الناس فى أفضل الأحوال وسعوا الى تحقيق رغباتهم .

مشاكلنا اليوم :

و إنه ليحيط بالأمة المصرية — كغيرها من أمم العالم — معضلات كبرى اجتماعية أخصها : الثالوث المخيف، الفقر والمرض والجهل ومما لها من أثر فى حياتنا القومية ومركز الأمة من العالم المتمدين. ومن نتائج هذه المشكلات الخطيرة مشكلة إصلاح القرية ورفع مستوى حياة الفلاح والعامل ومشكلة درء خطر الجريمة و إصلاح المجرمين، هذه وغيرها من مشاكلنا الاجتماعية والتى زادتها الحرب الأوروبية الماضية تعقيدا والحرب العالمية العظمى شرا مستطيرا، وأنه مع إهمال الأخذ فى أسباب علاجها والتغلب عليها وعلى ما يحيط بها من ظروف لا شك أنها ستجعل حل كل مشكلة وما يتفرع منها عسيرا إلا إذا هب القوم عاملين ملبين صوت الرأى العام ، فتتعاون الجماعات وتتضافر الهيئات والحكومة متجهة صوب الإصلاح الاجتماعى المنشود. فمشاكلنا على ما هى عليه و إن كانت تبدو فى ظاهرها مستعصية الحل، إلا أنها أمام الأيدى المتضافرة والإيمان والعقيدة الخالصة والضمير الاجتماعى، حينئذ يسهل كل ما استعصى من معضلات وما أشكل من خدمات فى الميادين الاجتماعية .

(*) نص الحديث الذى أذيع فى البرنامج الثقافى لاذاعات الوزارة فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٥

المثل الأعلى :

ولئن جاز لنا أن نسجل هنا ما تتوج به هذا العصر المجيد من إحساس فياض غمر أفراد الشعب، وبخاصة الفقراء فى شخص الجمعيات الخيرية والمنشآت الإنسانية من تبرعات ملكية ومبرات يقصر دونها الاحصاء فلأن مليكنا الصالح المحبوب فاروق الأول حفظه الله، قد ضرب المثل العليا فى كل مناسبة مما يكنه من عطف ملكى سام لخير الإنسانية فى مختلف نواحى الحياة الاجتماعية فتسارع القوم والعاملون على الإصلاح الاجتماعى إلى إقامة المؤسسات ومأوى الطفولة وحمايتها، وتخفيف ويلات الفقراء، ما سوف يكون له أبلغ الأثر فى حياة أفراد الشعب من المعوزين والبائسين وطبقات الأمة على السواء خشية ما قد يصيبها من شر عاجل أو آجل .

إن تاريخ الإصلاح الاجتماعى ليسجل بالتقدير جهود وزارة الشؤون فى مختلف ميادين الخدمة الاجتماعية ، إذ انتقلت بها من عالم الحلم والخيال والبحث إلى عالم الحقيقة والجد والعمل ، ذلك ما تمس اليه حاجة البلاد الاجتماعية وجوهر الإصلاح القومى المنشود لخير مصر والمصريين بل والعالم العربى على السواء .

الأسرة المصرية فى مقدمة مشاكلنا الاجتماعية :

وفى يقينى أن فى مقدمة العلل والأمراض الاجتماعية فى المجتمع المصرى ، بل من أوليات مشاكلنا الاجتماعية ، ضعف المستوى الخلقى فى الأسرة . وأن إغفاله اليوم دون تشريع أمر له نتائجه السيئة وعامل قوى فى انتشار الجريمة ومضاعفاتها وقد تنبهت الأمم من العالم المتمدين الى وضع تشريع يحفظ كيان الأسرة فيها ويحمى المجتمع من عوامل الجريمة وفوضى العابثين بالأمن، ونحن فى مصر أشد ما تكون حاجة إلى تشريع لإصلاح حال الأسرة ، وإن ما جاء ضمن خطاب العرش للدورة السابقة يحقق مبلغ اهتمام الدولة فى شخص وزارة الشؤون بالمسائل الاجتماعية وإصلاح الأسرة على وجه خاص إذ يقول ما نصه : " كما أن حكومتى تعنى بالمسائل الاجتماعية ، وسيكون أول ما نسعى الى علاجه مسائل الأسرة ، حيث تضع برنامجا شاملا للنهوض بها وتنظيم العلاقة بين أفرادها ، وحماية النشء من التشرد والتسول " وقد كانت مشكلة الأسرة ولا تزال فى مقدمة دوافع المشاكل الاجتماعية الخطيرة الأثر وما ذلك إلا من فوضى الحرية التى ملكت مشاعر أفراد الأسر كبيرها وصغيرها غنيها وفقيرها . ومن القول المأثور: " أن ليست الهيئة الاجتماعية إلا اتساع دائرة الأسرة فإذا خرج الإنسان من أسرته فاسد الأخلاق دخل المدينة فاسد الأخلاق " ولا ريب — عندى — أن الجريمة بين الأطفال من باعث عائلى إلا أنها تنتهى بمشكلة الهيئة الاجتماعية .

مكانة المرأة :

وليس بعزيز على المرأة المصرية بعد ما أصبحت فيه من مكانة فى المجتمع المصرى أن تعمل لإسعاد الأسرة ورفع مستوى الحياة الاجتماعية فيها . ومن أولى بإصلاح حياة الأسرة وشؤونها الاجتماعية من المرأة ؟ تلك التى يقال عنها بحق : إن هزت المهد بيمينها فقد هزت العالم بيسارها . وإنى إذ أهيب فيما ألمع إليه من كلمات وجيزة فلأن هذه العجالة لا تتسع سطورها لما سجله التاريخ القديم والحديث وما اعترف به علماء الاجتماع وأقره النادة والمصلحون وما نصت عليه الشرائع والأديان على اختلافها عن مكانة المرأة من جميع نواحى الحياة . المرأة التى إن أصلحت صلح كل شىء ، وإن أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق.

ولا نكون مغالين — سيداتى وسادتى — أو نذهب بعيدا عن جادة الصواب والحقيقة فيما نقوره عن أخص المشاكل الحيوية والتى تعمل على إضعاف دعامة الأسرة وكيانها وما نراه اليوم من أمور لها خطرها وأهميتها وفى مقدمتها :

ضعف التربية الدينية :

إذ مما لا نزاع فيه أن تعاليم الدين أكبر وازع للنفس من الاسترسال فى نزعتها وأعظم رادع لها عن الجنوح الى اقتراف الآثام واذا ما عاودنا بنظرة نستعرض الماضى القريب نجد أن الآباء والأمهات كانوا يعنون بتربية أبنائهم التربية الدينية لحقة فكان الطفل ينشأ فى بيئة منزلية امتزج الدين بها فينطبع فى نفسه حب الدين وما دعا اليه من فضائل وإن حالنا اليوم غيرها بالأمس فلقد دهمتنا المدنية الحديثة الكاذبة فأغفل الآباء شئون الأبناء فانغمسوا فى حمأة الرذائل والشرور وسولت لهم أنفسهم ارتكاب الجرائم فلئن صار الحدث الصغير مجرما كبيرا فلا تعجبوا فمعظم النار من مستصغر الشرر .

سياسة التربية والتعليم :

وحرى بنا أن نقرر أن التربية المدرسية لم تعد تصلح للتوفيق فيما تدعو اليه نزعات الطفل الطبيعية وحاجياته مع ما تقتضيه رغباته الاجتماعية ، إذ أن سياسة التعليم الأقصى محدودة الاتجاه وهذا ربما كان يصلح للماضى القريب بما كانت عليه الحياة فى أبسط أشكالها إلا أنها لم تعد تصلح لمواجهة وقتنا هذا بما فيه من مناحيه الاجتماعية المعقدة والواجب إذن أن نجعل من أهم أعمالنا فى التربية الحديثة مساعدة الأطفال على مواجهة هذه النزعات وحلها الحل المرضى ، إذ أصبح من المعلوم أن الهمل وصغار المجرمين لم يقترفهم تيار الاجرام إلا لخلوهم مما يحيط بهم من عوامل التربية الخلقية والحياة الصناعية أكثر ما يكونون قد ولدوا مجرمين .

ضعف الحياة الصحية :

كما أن حياة الشعب وسلامة الأجسام واستقامة العقول موكولة الى الحياة الصحية بين أفراد الشعب وحمايته من الأمراض الفتاكة وخاصة الطبقة الفقيرة وهى الهيئة العاملة فى الثروة المصرية وقوة الدفاع وإن ما نراه اليوم من نشاط دائم واهتمام مرعى بما تقوم به الدولة فى شخص وزارة الصحة من كفاح مشكور فى نواحى مختلف الأمراض المتوطنة بيننا لا شك سيكون له أثر فى حياتنا الصحية وفى سلامة العامة من الشعب .

وليس لأحد أن ينكر ما لشعور الهيئات والأفراد مما هو جدير بالخدمات الاجتماعية ففى مقدمة عوامل توجيه الرأى العام الى ما يهمنا أمره من جميع الشؤون الحيوية — الصحف السيارة والمجلات والنشرات على اختلافها — وبقدر ما تكون عنايتها بأداء مهمتها من توجيه الرأى العام يكون تأثيرها وفائدتها على أن الاعتقاد السائد من حيث شعور الهيئات (حتى المتعلمين منا) تجاه العناية بالمشاكل الاجتماعية وتجاه ما كان منها — بنوع خاص — له علاقة بحماية الطفولة ورعايتها أن الحكومة هى الوصى الوحيد والهيئة المسئولة عن كل شىء وعليها تقع وحدها كل المسئولية .

والحق يقال أن الصغير المجرم ينتقم من الهيئة لأن تلك الهيئة لم تنجح فى أن تقابله أو تعترف بما عليه من طبيعة حب النفس والظهور ولو بما تظهر له من الشقشقة والحنان .

ولئن كان الذى يحدو بنا الى إيواء أبناء الملاجىء والعطف عليهم خوفا من تدهورهم فى بيئة الإجرام إن هم أهملوا فإن بينهم وبين اخوانهم الأحداث الحمل وصغار المجرمين لشبها يحدده اليتم والشقاء والبؤس فهم جديرون بعطفنا حريون برعايتنا .

ليس اليتيم من انتهى أبواه من ... هم الحياة وخلفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذى تلق له ... أما تخلت أو أبا مشغولا

سيداتى وسادتى :

إن بيننا من الأطفال الشواذ ومن دل عليهم الاحصاء العام فى الدولة بما يقرب من ١٥٠٠٠ طفل محرومين من كل رعاية وعناية ومن الخطر الفادح إذا ما ضوعف هذا الشذوذ بفساد فى الأخلاق كنزعة الى الاجرام من حيث السرقة أو الحريق أو ما اليه فمن المحتم حجز المصابين بهذه الآفات فى بيوت خاصة بإصلاح الأحلاق وأقرب ما تكون الى مستشفيات منها الى دور الاصلاحيات . وقد تنبهت اليوم وزارة المعارف العمومية الى هذه المشكلة الخطيرة فأخذت فى دراسة المشروعات والأساليب الكفيلة بتحقيق رعاية

وحماية الشواذ من الشعب وسوف يرى الطفل الشاذ من الرعاية والإصلاح ما لقيه أمثاله فى غير بلادنا وما نرجو أن يكون له أكبر الأثر فى محاربة الجريمة والوقاية منها بين طائفة من الأطفال كان اهمالهم — ولا يزال — أشد خطر على المجتمع وعلى أنفسهم .

نداء :

أما وقد استعرضت على مسامع حضراتكم — سيداتى وسادتى — أخص مشاكل الخدمة الاجتماعية قدر ما سمح به الوقت المحدود فإنى لا يسعنى إلا أن أدعو رجال القانون من حضراتكم وعلماء النفس والأطباء من بينكم والمعلمين وعلماء الاجتماع وقادة الرأى العام فيكم وفضليات النساء اللائى كلفن بالخدمة العامة وشئون مصر الاجتماعية وكل من يهمه منا أمر الحالة الخلقية بين أطفالنا أن يكون لهم الأثر العظيم والفضل الأول مما يأتونه من النشاط والمثابرة والمعونة فى تقدم إصلاح حالتنا الاجتماعية حتى يعود لمصر مجدها التليد ورقيها الأدبى والعلمى وتتبوأ مركزها اللائق بكرامتها بين الأمم وفى هذا يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين : " لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما " .

وإلى اللقاء من الحديث المقبل والسلام عليكم ورحمة الله ،

جمعية نهضة القرى ومحو الأمية

ورد فى تقرير جمعية نهضة القرى ومحو الأمية بمديرية قنا فى عامها الثالث عشر أن عدد الشعب التى تسير سيرا منظما ٥٦ شعبة يبلغ عدد متطوعيها ٢١٢ قاموا بتعليم ١٢٠٦ من الأميين . وتطالب هذه الشعب الآن بفتح المدارس الالزامية لتلقى فيها الدروس ليلا .

وامتد نشاط الجمعية الى إقامة مهرجانات ثقافية تلقى فيها المحاضرات على الجمهور القنائى وكان لهذه المحاضرات آثارها الملموسة التى شهدت بها الصحف المختلفة مما شجع الجمعية على الاستزادة من مواسمها الثقافية والعمل على نهضة القرية ، وذلك لاشك جهد محمود فى الاصلاح الاجتماعى يسرنا أن نسجله للجمعية .

الحقوق الإنسانية

للدكتور محمد غلاب

تمهيد :

الان و بعد هذه الحرب العالمية المدمرة التى غيرت ومستغير وجه التاريخ ، وقلبت أو ستقلب كيان أكبر الأنظمة الاجتماعية رأسا على عقب، لا يكاد أى حدث من الأحداث الخلقية يرن صداه على هذا النحو العذب المحبب الى الأسماع والذى تصدح به نغمات هذه الآونة الحاضرة مرددة كلمة الحقوق مضافة إلى الأفراد حينا ، والى الجماعات حينا ثانيا والى الأقليات حينا ثالثا ، الى الطبقات العاملة حينا رابعا ، والى الشعوب الصغيرة أو الضعيفة حينا خامسا الى غيرذلك مما تكتظ به الصحف وتزدحم به مو ، لأثير فى كل صباح وكل مساء . ولا ريب أن هذا كله يقذف الى نفوسنا بالرغبة الحادة فى تعرف هذه الحقوق التى بلغت من السمو هـذا الحد الذى يحببها إلى كل قلب ، ووصلت من الجمال الى تلك الدرجة التى تجعلها صالحة لأن يتخذها المغرضون ستارا براقا يخفون وراءه غاياتهم ومراميهم . ومما يزيد هذه الرغبة حدة حتى يتحولها الى شغف هو ما نشاهده من اتفاق الجميع على سلطانها وجلالها النظريين وتباينهم فى معانيها ومغازيها ، وهـذا التباين ينتج بالضرورة أن الأنظمة الناشئة عن تطبيقها المتفق عليه لا تتأسس دعائمها إلا فى بطء و بعد عسر شديد . ولا جرم أن هذا كله يحملنا على الريبة فى معنى هـذه الكلمة القدسية التى ورثت الانسانية منذ العصور الغابرة إجلالها ، والانحناء أمام عظمتها ، و يدفعنا فى قوة إلى محاولة كشف النقاب عن معناها الحقيق لكى لا يستطيع ذوو الغايات التشكيك فى مرماها تمويها على العقول ، وتغريرا بالأفهام . ومما لا ريب فيه أن هـذا الكشف يتطلب منا — قبل الخوض فى تحديد معنى هذه الكلمة — عرضا اجتماعيا موجزا ، ليكون بحثنا مؤسسا على دعائم علمية متينة ، وهذا الغرض الاجتماعى يقتضى بدوره أن نشير بديا إلى المظهرين اللذين تبدو فيهما هذه الكلمة على مسرح الحياة العصرية ، و إليك هذا البيان :

(١) المظهران العصريان للحق البشرى :

يبدو الحق الانسانى فى هـذا العصر فى مظهرين متغايرين ، أولهما ما يعرف باسم الحق الذاتى ، وقد دعاه بعض العلماء باسم الحـق الطبيعى ، وسنرى فيما بعد علة هذه التسمية . وثانيهما ما يدعى باسم الحـق الموضوعى أو الشرعى أو الوضـعى أو التاريخى . فأما الحق

الذاتى أو طبيعى فهو يمثل لنا اليوم كشعور باطنى مستقل تماما عن كل قاعدة قانونية ولكن بعض المفكرين يرى أن هذا الشعور النفسانى بالحق الفردى حادث قد تفرع عن حق الجماعة بعد أن قطعت الإنسانية شوطا كبيرا فى طريق احترام الفرد وتحريره من قيود المجتمع التى كانت تكبله كل ذلك الزمن الطويل . وإذا ، فهو آت من الخارج لا منبثق من النفس . ويرى البعض الآخر من الفلاسفة وعلماء الاجتماع — على ما سنفصل ذلك فى موضعه — أن هذا الشعور الباطن أساسى ينبعث من داخل نفس الفرد ، ليعبر عما تتطلبه ذاته من الحاجة الضرورية لحفظها تلبية لمبدأ تنازع البقاء ولكن بصورة مشروعة — من لدن الطبيعة — قد تخلصت نوعا ما من أنانية الغريزة وبالتالى يعتبر هذا الحق بعيدا عن القواعد الوضعية المحددة .

وأما الحق الموضوعى أوالوضعى فهو مجموعة من القواعد المحددة الاجبارية التى هى فى أكثر الأحايين مسجلة فى نصوص ثابتة معينة ، وهذه القواعد لا تكاد توجد إلا فى الجماعات المنتظمة واو بعض الشئ . والفرق بينها وبين القواعد الأخلاقية هو أن الأولى تفرض على الجماعات بالقوة المادية ، على حين تعرض الثانية عن طريق الضمير الخلقى الهاتف بصوت الواجب . وقد وضعت هذه القواعد القانونية لتحد من أثرة الغرائز وتضيق منطقة الأنانية الشخصية ، ولتخضع الفرد الجامح لسلطان الجماعة فيما لا بد منه لصيانة كيانها . وبهذا الاعتبار يمكن أن يطلق على تلك القواعد أيضا اسم الحق الاجتماعى .

أما النشأة الحقيقية لهذين المظهرين اللذين يبدو فيهما الحق الإنسانى وكيف وصلا إلى ما هما عليه الآن وما هو أساسهما العلمى ، وأيهما السابق إلى الوجود ، أما هذا كله مجتمعا فهو مرد ذلك تعارض القوى الذى لا يزال يجتذب العقول حول شرح هذا الحق البشرى بمظهريه ذات اليمين وذات الشمال . ولذلك نرى لزاما علينا قبل عرض هذه الآراء المتباينة أن نلقى على جوانب التاريخ شيئا من ضوء علم الاجتماع يسمح لنا بالحكم الدقيق الذى تتطلبه طبيعة مشكلات هذه النظرية أكثر من سواها ، إذ لا ينبغى أن يغيب عن الأذهان أنه من غير الممكن أن يفهم الباحث طبيعة الحق وتطوراته فهما عميقا إلا إذا وضعه بدياقى إطاره الاجتماعى بصورة تمكنه من أن يبدو كأنه ذات حرية الفرد يحددها أو يحددها قانون المجتمع نفسه .

(٢) نظرة اجتماعية خاطفة :

من المتفق عليه بين علماء الاجتماع فى هذا العصر أن الشعوب البدائية — سواء أكان ذلك قديما أم حديثا — لاتميز بين الحق والدين والأخلاق ، فالقواعد القانونية عند هذه

الشعوب هى مجموعة عادات ساذجة قاسية يخضعون لها خضوعا تاما ، فعند ما يقال إن هذا الفرد قد أتى من الأعمال ما لم تكن العادات تبيحه أو تسمح به كانت العقوبة أمرا حتميا ، ولكن بقدر ما تأخذ هذه الشعوب بحظها من المدنية تفصل بعض هذه الجوانب المختلفة من حياتها الاجتماعية عن بعضها الآخر .

ومما لاحظه الباحثون أن الحقوق القانونية هى آخر ما ينفصل عن الدين من هذه النواحى ، فكثيرا ما يظل الكهنة قضاة الشعب المسئولين عن العدالة فيه حتى بعد أن يفوز من الرقى بنصيب موفور .

وأخيرا تنشأ القواعد المكتوبة التى يضعها الممتازون من المشرعين الذين يتناسبون مع شعوبهم تناسبا ما فى حظوظهم من العلم والثقافة . ومن أهم ما يسترعى الانتباه فى هذا الشأن بادئ ذى بدء هو أن الحق البدائى لا يأبه للفرد ولا يشتغل بتنظيم علائقه مع غيره ، وإنما هو يعبأ بالصلات بين الجماعات المختلفة فحسب ، فيعنى بوضع عقوبة قاسية لمن يتعدى على حقوق تلك الجماعة ليضمن بذلك صيانة امتيازات كل جماعة عن العبث بها من جانب الجماعات الأخرى ، غير أن هذه الحقوق الجماعية قد أخذت تنعطف شيئا فشيئا نحو التشخص والفردية حتى وصلت فى العصر الحديث إلى حالة تكاد تشبه الاقتصار على الفردية ، أو توشك أن تكون قد ثنت عطفها عن عظمة الجماعات التى كانت فى الأزمان الغابرة قد طغت على الفرد طغيانا بغيضا . ولا شك أن هذا التطور فى انتقال الحقوق من الجماعات إلى الأفراد يماثل تطور الملكية الذى رأيناه فى أحد فصولنا الماضية .

ومهما يكن من الأمر ، فإن هذه الحقوق بقدر ما كانت تجتاز الجماعة إلى الفرد جعلت تجنح نحو الروابط النفسية ، وهذا شئ طبيعى ما دامت قد أخذت تتأسس على قواعد هى مزيج من موافقات الأفراد ورضاهم ونياتهم ، وفى هذا يقول العالم الاجتماعى " دائى " : " إن الحق الإنسانى لم يستطع أن يظفر بطبيعته الأخلاقية إلا حين اتخذ من العقيدة الثابتة فى قلب كل فرد محرابا له " .

ومن الأمور الجديرة بالعناية فى هذا الصدد أيضا أن الحقوق الإنسانية فى الشعوب البدائية والناشئة فى المدنية لم تكن عامة شاملة لكل الجماعات ، وإنما كانت قاصرة على الوطنيين ، أما الأجانب فلم يكن لهم فيها نصيب ذو بال ، وليس أدل على ذلك من أن أمتى الهيلين والرومان — وهما من أرقى الشعوب الأثرية وأرسخها قدما فى المدنية — لم تكادا تعترفان لغير الوطنيين الأساسيين بحقوق ذات شأن . وينبغى الاعتراف هنا بأن المسيحية ثم الإسلام هما اللذان رفعا علم هذه العدالة معلنين أن بنى الإنسان جميعا متساوون فى العنصر

والحقوق والواجبات . وبفضل هـذه التعاليم المنصفة قد أخذت الحقوق البشرية تجتاز حواجز الجنسية والأروبة نحو الإنسانية وتتبوأ منزلتها الطبيعية فوق عرش العمومية .

وهكذا يكون الفضل لعلم الاجتماع فى إبداء كيف أن الحقوق الجماعية التى كانت أول الأمر ممتزجة بالعادات والعرف قد تخلصت منهما ثم كونت الحق الموضوعى أو المشروع الذى لم يلبث أن نشأت منه فكرة حق الإنسانية العـام أو الحق المثالى الذى يتخذ نموه فى الوجدان البشرى ، وهذا النوع الثانى فى داخل نفوس الأفراد هو الذى يطلق عليه الآن اسم الحق الذاتى والذى أشرنا آنفا إلى الاختلاف فى مبدئه ونشأته .

أما وقد انتهينا من هذه الإلمـاعة الاجتماعية فإننا سنمر هنا مسرعين بآراء طائفة من أفذاذ العلماء وأعيان المفكرين حول طبيعة هذه الحقوق وعلى أية دعامة تأسست .

(٣) طبيعة الحقوق وأسسها :

(١) إدراكات العقليين والمثاليين :

يغض فريق من المفكرين النظر عن تلك التطورات التاريخية والاجتماعية التى مرت بالحق البشرى ويرى أنه صفة أساسية ملازمة لهوية الإنسان لا لعلة أخرى سوى أنه إنسان ، وبالتالى يكون هذا الحق مستقلا عن كل تشريع خاص ، بل إنه سابق بالوجود على جميع الأنظمة الاجتماعية من غير استثناء ، وبأنه أحد موضوعات الوجدان الإنسانى القابلة لمدركيته بالطبيعة .

ومن أجل ذلك يدعوه هذا الفريق بالحق الطبيعى ، وفى الواقع أن الفلاسفة القدماء لم يكونوا يجهلون كل الجهل هذا الحق الطبيعى ، فأرسطو فى كتابه "الأخلاق إلى نيكوماخوس" يميز بين الحق الغير المكتوب والحق الذى سمّاه القانون ، "وسيسيرون" فى كتابه " de lé gibus " يؤيد فكرة القاعدة العليا المؤسسة فى الطبيعة ، ولكن هذه النظرية قد بقيت غامضة طوال العصور الأثرية والوسطى ولم تظفر بالتدعيم الجدى إلا فى عصر النهضة حيث أخذ العـالم القانونى الهولندى "جروسيوس" يميط اللثام عنها ويجاهد فى سبيل بروزها إلى عالم الوجود العملى . غير أن هـذه الفكرة قد ظلت خافتة رغم مجهود هذا العـالم حتى جاء بطلها الحقيقى "جان جاك روسو" فأثبت فى كتابه "العقد الاجتماعى" نظرية المثالية للحق الإنسانى وقرر أن هذا الحق الطبيعى قد نشأ من إذعان إرادة الإنسان للقانون المنبثق من ذات عقله وأعلن أن الإنسـان هو بالطبع حر مستقل منعزل مزود من لدن الطبيعة بحقوق شخصية غير قابلة للزوال ولا الانتقال مرتبطة بطبيعته بوصف أنه إنسـان ، وأن الجماعات قد تكونت

عن طريق التقريرات المدركة والمرادة من أفرادها والتى قام بها الجميع لتحقيق إحدى غاياتهم الفطرية كذلك وهى ضمان حماية تلك الحقوق الشخصية الطبيعية ، وفى مقابل هـذه الحماية قد قبل كل فرد منهم أن يتزل عن جزء شائع من هـذه الحقوق يتمثل فى تضييقها نوعا ما ، ولكن فى حدود الاحتفاظ بالتطبيق الحر لحقوق الجميع .

ومن هؤلاء المفكرين المثاليين الذين أيدوا نظرية الحق الطبيعى للفرد ، الفيلسوف الألمانى "كانت" الذى بعد أن يقر انفصاله عن الأخلاق يعلن أن أساسه كامن فى الجوهر المثالى للإنسان وهو حريته ، وذلك لأن الحق البشرى هو مجموعة الشرائط الضرورية لتحقيق وئام كل إرادة فردية حرة مع مثيلاتها ، وذلك هو التنظيم الخارجى الضرورى الذى تتطلبه مواقف الأفراد الأحرار الذين يريدون الحياة معا .

ولما كان الحق على هذه الصورة يؤلف نظاما خارجيا فقد صار من هذه الحيثية عبارة عن إمكان التزام عام متبادل ملتئم — حسب قوانين عالمية — مع حرية كل فرد.

نقاش هذه النظريات

ينبغى أن نقرر قبل كل شىء أن الميزة العليا لهذه النظريات هى أنها ألقت النور على الجوانب المثالية القيمة من الحق الإنسانى ، ولكن هذا التقدير لا يمنعنا من أن نعلن أنها تشتمل على عيبين أساسيين ، أولهما أنها ليست دقيقة من الناحية الاجتماعية البحتة ، إذ أن تاريخ هذا الحق يبديه أمامنا على صورته الواضحة حين أخذ يتخلص شيئا فشيئا من العلائق العائلة المتغيرة التى أرهقته بها الحياة الاجتماعية ، وهو يظهرنا على أن الشعور بالحق المثالى — فضلا عن بعده الشاسع عن أن يكون فطريا — هو ثمرة لتطور واسع المدى مترامى الأطراف وأنه بدل أن يكون منشأ الحق الوضعى ، هو على العكس قد نشأ منه . وثانى هذين العيبين أن هذه النظريات تؤسس القيمة المثالية للحق الإنسانى على دعائم هى فى نظر فريق من المفكرين هينة سريعة التحطم ، وهى فى رأى فريق آخر قابلة للأخذ والرد ، وذلك لأن الباحث لا يسعه إلا أن يتساءل عن أصل هذه القداسة التى أحاطت حق الفرد ومن أين جاءته إذا كان هذا الحق ناشئا من الطبيعة كما ترى طائفة من أنصار هـذا الرأى ، أو من إرادة الإنسان كما ترى طائفة أخرى منهم وكيف اكتسى الفرد البشرى فى هذه العصور الحديثة برداء الجلال الذى يحوط اليوم حقه ولم يكن له فى الأزمان الغابرة ؟ . و إذا جارينا التحليلات التجريبية التى أجراها العلماء المعاصرون على الانسان لم نلف فيها للقداسة عينا ولا أثرا ، بل إن هؤلاء العلماء المادين يذهبون إلى ما هو أبعد من ذلك فيسألون أصحاب هذه النظريات المثالية قائلين : إذا كانت الطبيعة هى منشأ قداسة حق الفرد ، فلم لم تمنح غير

الإنسان من الكائنات الحية مثل هذه القداسة ما دام ان الجميع هم أبناؤها ؟ . وإذا ، فلم يبق أمام هؤلاء المفكرين المثاليين إلا أن يهرعوا إلى ما بعد الطبيعة ليستغيثوا به فى إنقاذهم من هذا الموقف العسير. ولما كان ما بعد الطبيعة موضع جدل ونقاش ، فقد كان حسب خصوم هذه النظريات أن يقرروا أن الذين يقدسون حق الفرد ليسوا كلهم من المؤمنين بما وراء الطبيعة ولا من أشياع مذهب " كانت " وهذا كاف فى زعزعة ذلك المبدأ .

(ب) الإدراكات التجريبية أو الواقعية :

هناك فريق آخر من المفكرين قد تلقوا الإلهام الذى أسسوا عليه تفكيرهم من لدن الواقعية المشاهدة ، فجنحوا إلى مبدأ يتعارض مع المبدأ السالف أشد التعارض ، وينقسم هذا الفريق إلى طائفتين ، إحداهما ترى أن القوة هى منشأ الحق ، والأخرى ترى أن المنفعة الاجتماعية هى أساسه ومأتاه . وهاك إجمالا سريعا لأهم آراء أفراد الشعبتين .

أشياع القوة :

يعتبر المفكر الإنجليزى " هوبس " أبرز القائلين بهذا المبدأ ، إذ يقرر أن القوة — إن لم تكن جوهر الحق — هى على الأقل مقياسه . ومن آيات ذلك أن تطبيق حق الملكية على البشر الذين كانوا يدعون باسم العبيد قد ظل مشروعا زمنا غير يسير ، بل كان حقا تاريخيا معترفا بشرعيته ، وما ذلك إلا أثر من آثار القوة توصلت به إلى مشروعية أقدح ألوان العسف . ومما يؤيد جحود نشوء الحق البشرى من الطبيعة فى رأيه أن شعار الطبيعة هو دائما " حرب الجميع ضد الجميع " وهو يرى أن هذه الحالة النضالية لا تقف رحاها إلا حين يضع الكل حظوظهم بين يدى فرد واحد تمثل فيه القوة بأبعد معانيها فيجعل تصرفاته كلها شرعية متفقا عليها . ويعد هذا من جانب هوبس تأييدا لما يطلق عليه اسم الخلفيان المستمر .

ومن أشياع مبدأ القوة أيضا الفيلسوف الألمانى " هيجيل " الذى يجزم بأن تاريخ الإنسانية ليس شيئا آخر غير النمو المنطبق لجوهرها أو لمثالها على حد تعبيره . وهذا المثال فى رأيه يتجسد أحيانا فى شعب من الشعوب . وحين ذاك يضع العقل العام أو إله هيجيل إرادته فى هذا الشعب ، وفى هذه الحالة لا ينبغى لإرادات الشعوب الأخرى أن تجابه الإرادة العامة المطلقة . بأن لها أى حق بعد الآن ، لأن هذا الشعب الذى يمثل تلك الإرادة هو الذى يجب أن يسود العالم [1] . والطابع المرئى الذى يدل على استقرار هذه الإرادة المطلقة أو هذا الحق فى ذلك الشعب هو القوة البارزة فى جوانبه . وإذا ، فانتصار القوة هو انتصار الحق .

(١) انظر تاريخ الفلسفة الألمانية للأستاذ أميل بريه .

ومن هذا يتضح أتم اتضاح مقدار تأثير هذا الفيلسوف وأمثاله فى تكوين العقلية الألمانية الحديثة وصوغها فى قالب القوة التى لا تقدس سواها .

ولم يقتصر أثر المذاهب القائلة بمبدأ القوة كأساس للحق على الألمان وحدهم ، بل إن عددا اخر من المفكرين العصريين فى أنحاء أوروبا قد أخذوا يدعون له فى صور متقاربة دعاء حارا . ومن هؤلاء الدعاة الكاتب الفرنسى القدير « شارل موراس » الذى كتب فى « الأكسيون فرانسيز » يقول ما ترجمته : « ان الأخلاق هى أسمى ما فى الطبيعة ، وهذه الأخلاق الطبيعية تدعو الى الفضيلة الوحيدة التى هى القوة » .

ومنهم أيضا " لويس دينيه " الذى يقول : " لا حق إلا ما يفوز ، لأنه لا يفوز إلا ما يستحق الفوز " .

وأخيرا يبدو هذا المبدأ الخطير بأجلى مظاهره عند العالم الألمانى الفوضوى " ماكس أستيرنير " الذى يقول فى كتابه " الوحيد وملكيته " ما ترجمته : « إن لى الحق فى عمل مالدى القدرة على عمله ، وأن الثمر الذى ينقض على فريسته محق فى هذا الانقضاض ، و إنى إذ أقتله لمحق أيضا ، إذ أن من لديه القوة لديه الحق ، و إذا لم يكن لك الأولى فليس لك الثانى »

وكذلك نعثر على هذه الفكرة واضحة صريحة عند بعض أشياع الماركسية فى كتاباتهم عن نضال الطبقات ، وقد اتخذوا من الأدلة على صحة مبدئهم ما يشاهد فى أحداث الزمن من أن كثيرا من الحقوق لم تستطع الوصول إلى درجة المشروعية المعترف بها إلا عند ما تحققت للذين يناصرونها القوة الضرورية للظفر بها ، وهم يمثلون لذلك بحقوق النقابات التى مكنتهم القوة من انتزاعها من لدن الغاصبين . . .

البقية فى العدد القادم

محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

سياسة قتل الوقت (*)

للأستاذ سيد قطب

عمر الفرد قصير ، ورحلته فى هذه الأرض خاطفة ، فإذا كان للحى مايشكوه من هذه الناحية ، فهو قصر المدى الممنوح له عن تحقيق آماله ، وشعوره بأزمة فى الوقت لاتهيئ الفرصة لاكماله .

ولكن الملاحظ فى مصر عكس هـذا على خط مستقيم ، فكل ماتقع عليه العين يوحى بأن هناك وقتا فائضا عن حاجة أهلها لايعرفون كيف ينفقونه ، وهم يعبرون عن هذه الظاهرة فى أحاديثهم وتصرفاتهم بعبارة " قتل الوقت " وهو تعبير دقيق يشعر بأنهم فى معركة دائمة مع الوقت الفائض الذى لايدرون كيف ينفقونه فيقتلونه .

يقول لك صديقك : تعال نقعد على هذا المقهى " نضيع الوقت " أو أنا أشترى المجلة الفلانية " لقتل الوقت " أو لقد كنا فى الليلة الماضية نمضى الوقت فى السينما . . إلى آخر هذه التعبيرات المعروفة فى أحاديثنا العادية ، والتى نشعر جميعا بأن هناك ضيقا بالوقت الفائض عن الحاجة ، لا يجد أصحابه ماينفقونه فيه فيتفننون فى " قتله " و إضاعته وتمضيته ، والبارع منهم من يبتكر أحسن الوسائل " لقتل الوقت " .

وليست المسألة مسألة كلمات تقال ، ولكنها أعمال تقع ، وظواهر تدل . . . فهذه المقاهى التى تكاد تصبح فى عدد البيوت ، وهؤلاء الرواد الكثيرون الذين يقضون فيها الساعات الطوال ، يحلقون بفضول غريب فى المارة من الرجال والنساء ، ويلوون أعناقهم هنا وهناك كلما مرت عابرة تجتاز الطريق ، إما لقصد شريف ، و إما للتسكع ولفت الأنظار أو يلعبون مختلف ألعاب التسلية ومنها " القمار " بالورق أو بسواه .

وهؤلاء المتسكعون فى الشوارع ، يقفون أمام كل " فاترينة " زمنا طويلا وهم لايريدون الشراء ، و ينتقلون من " رصيف " إلى " رصيف " يتصفحون وجوه المارة ووجوه الجالسين على المقاهى ، ويقرأون شتى الإعلانات على واجهات المتاجر ودور السينما وسواها ، على طول الطريق ، و يثير فضولهم كل حادث صغير فى الشارع ، فيتجمعون حوله للمشاهدة أو للسؤال والاستقصاء وليس لهم فيه قليل ولا كثير .

(*) نص المحاضرة التى أذيعت فى البرنامج الثقافى للوزارة مساء ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٤٤

وهذه الصحف الأسبوعية التى تزحم أيام الأسبوع ، وتظهر منها اثنتان أو ثلاثة فى اليوم وحشوها الأقاويل الفارغة ، والفضول المزرى ، والتلصص على داخليات الناس ، ونشر تفاهات الحياة اليومية للراقصات والممثلات وأشباههن ، والتهالك على كل مايثير الغرائز المنحطة والفضول المذموم فى نفوس الفارئات والقراء .

وهذه الأفلام التافهة فى موضوعها وتمثيلها وأغانيها ومشاهدها ، وكلها يبعد عن وقائع الحياة الجدية ، وعن كل شعور إنسانى سليم ، ليحاول أن يستثير العزيزة ، أو أن يزيف الحياة ويحيلها مساخا من صنع خيال سقيم ، ثم يجد من النظارة الإقبال ولا سيما من الشبان والشواب ، ممن هم فى دور التعليم والتحصيل .

وهذه الأغانى الرخيصة ، والمنولوجات العابثة ، وهى جميعها تجتهد فى البعد عن تصوير العواطف الإنسانية الصحيحة ، إلى تصوير العواطف الهابطة والمريضة ، حتى الحب . تلك العاطفة الإنسانية التى هى عنصر من عناصر البناء الكونى ، تمسخها هذه الأغانى بألفاظها وبأنغامها وبنبراتها ، فاذا الحب بهيمة تقع على بهيمة ، أو تخيلات مريضة لاوجود لها فى خاطر كريم . ومع هذا تجد من المستمعين والمستمعات كل إقبال .

كل هذه الظواهر تشعر بأن هناك وقتا رخيصا لا يجد أصحابه وصاحباته ماينفق فيه ، فيحاولون بما استطاعوا أن يقتلوه ، وهم يقتلونه فعلا فى الجلوس على المقهى ، أو التسكع فى الطريق ، أو تصفح المجلات والروايات التافهة ، أو مشاهدة الأفلام الرخيصة أو الاستماع إلى الأغانى المريضة . . إلى آخر الوسائل الكفيلة بقتل الوقت ، فى هذا العمر القصير المحدود وفى تلك المرحلة الخاطفة على هذه الأرض الدوارة .

* * *

ماعلة هذه الظاهرة السيئة فى حياتنا المصرية ؟

العلة الأولى هى فراغ الحياة ورخصها عند الكثيرات والكثيرين ، هى حياة منحوها فلم يعرفوا لها هدفا ولاغاية ، ولم يجدوا فى نفوسهم من المطامح والآمال أو من المشاعر والأحاسيس مايملأ فراغها ويرفع قيمتها ، ويجعلها فرصة نادرة للعمل المثمر والتفكير المفيد والإحساس النبيل .

والعلة الثانية هى سوء النشأة الذى ترك هذه العادات الضارة تغرس فى النفس بالقدوة والإيحاء ، فنمت هذه المخلوقات وفى نفوسها ضيق بالوقت الفائض واتجاه إلى إضاعة مثل هذه الوجوه .

والعلة الثالثة وهى فرع من العلة الثانية ، تلك البيوت التى لا تجذب اليها أهلها ، ولا تخلق لهم من الوسائل ما يقضون به أوقات فراغهم ، ولا من الاهتمامات ما يصرفون فيه طاقتهم الفائضة .

وللمدرسة نصيبها — كما للبيت نصيبه — فالمدرسة المصرية عامل تربية ردئ من هذه الناحية ، فيها حفظ أو تكاد ، ليس فيها إلا الدرس الجاف أو اللعب المهوش . وحتى ذلك الذى يسمونه " النشاط المدرسى " قد استحال هو الآخر دروسا جافة أو ألعابا مهملة لحب الاطلاع ، وحب الاستطلاع ، كلاهما تقتله المدرسة بطريقتها التعليمية العتيقة ، وبدروسها المفككة الجافة ، وبكتبها الرديئة التى لا تشويق فيها ولا جمال . وهى لا تزود التلميذ بعادة طيبة واحدة لشغل الفراغ ، ولا بهواية نافعة تصرف الطاقة الفائضة ، وتضمن الاتزان العاطفى فى فورة الشباب .

واضاعة الوقت على هذا النحو اسراف فى أيام الحياة المحدودة القصيرة ، وتبذير فى قوى الفرد والشعب . وتبذير بالركود ان لم يكن تذييرا بالانحلال . فالأمة الفارغة أمة منحلة ، والمسافة بين الفراغ والانحلال ليست بعيدة على كل حال .

لذلك يجب ألا ننظر الى الأمر دون اكتراث ، بل يجب أن نبحث فى هذه العلل ، ونحاول أن نجد لها العلاج .

وأنا أعتقد أن لكل من الملابسات السياسية والأوضاع الاجتماعية والاتجاهات الصحفية يدا فى هذه العلل ، كما أنها تملك وسائل العلاج أيضا .

حينما كانت لهذا الشعب أهداف قومية كبيرة ، لم تكن حياة أفراده تافهة ، ولم تكن همومهم صغيرة . والفرد يرتفع فى نظر نفسه حينما ترتفع أهداف أمته ، ويحس بقيمته وقت جهوده حينما تحس الأمة به وبمجهوده . وحينما يوجد الهدف الشعبى العظيم تقع حركة تجنيد اختيارية بدون شعور . وهذا ما حدث فى الثورة المصرية الكبرى وما يحدث عند ما يواجه أى شعب خطرا على كيانه .

فاذا نحن استطعنا أن نرد الى الأهداف القومية جلالها ، وأن نشعر أفراد الشعب بقيمتها وأن نشغل نفوسهم من أجلها ، ونشغل تفكيرهم بها ، فاننا نرد اليهم ايمانهم بقيمة الحياة ذاتها ، ونشعرهم بأن لهم وظيفة كبرى يؤدونها . ومتى ارتفعت قيمة الحياة عزت أوقاتها عن الاضاعة والتقتيل والعبث بلا جدال .

وليست أهدافنا القومية هى مطالبنا السياسية وحدها ، فالمطالب السياسية لم تعد كل مطالب الشعوب فى هذه الأيام .

ولعل الاصلاح الاجتماعى — فى حالة كحالة الشعب المصرى — من أول الأهداف القومية التى يجب أن تشغل الأفكار ، وأن توجه اليها الجهود ، وأن تنفق فيها الأوقات ،

وليس أجدر بالأريحية الانسانية والحماسة القومية من شؤون الملايين من العرايا الجياع المرضى الجهال الذين يتألف منهم الشعب فى صميمه .

إن حالة هؤلاء الملايين من المخلوقات البشرية التعسة فى الريف وفى الأحياء الوطنية بالمدن ، لتهز النفس البشرية من أعماقها ، حين تجد من يهزها ، ومن يعرف الطريق الصحيح اليها ، ومن يوقظ فيها الحساسية الانسانية الكامنة .

وأقرب طريق الى ايقاظ هذه الحساسية ليست الخطب الحماسية ، ولا الكلمات الرنانة ، ولكنها البيانات الدقيقة ، والوصف الحقيق ، والتصوير الصادق لحالة هذه الطبقات الفقيرة . وللوسائل التى تملكها الأمة لانقاذ هذه الطبقات ، وللطرق المفتوحة أمام كل فرد لأداء واجبه فى حدود ما يستطيع ثم استثارة اريحيته الانسانية وأحاسيسه القومية بعد هذا البيان .

وذلك واجب الصحافة والاذاعة والسينما والمسرح والمدرسة أيضا ، واجب الصحافة التى تملك توجيه الرأى العام المثقف ، وواجب الاذاعة والسينما والمسرح ، وهى التى تستطيع مخاطبة الجمهور كله بما فيه غير المثقفين وواجب المدرسة وهى التى تتولى الاعداد والتوجيه من الأساس .

ولست أستطيع أن أتصور صحافة ولا سينما ولا اذاعة ولا مسرحا ولا مدرسة تعيش فى هذا العصر ، وفى شعب كالشعب المصرى ، ثم لا تجعل الشؤون الاجتماعيه جزءا من برامجها ؛ ولست أحب الغلو الذى يدعو الى أن تقتصر هذه الوسائل على التوجيه الاجتماعى المباشر ، فللفنون الطليقة وللأفكار العامة قيمتها الانسانية التى لا يغفل أحد شأنها حتى فى الاصلاح الاجتماعى بطريقة غير مباشرة . ولكن البحوث الاجتماعية والتوجيهات المباشرة جزء لا يتجزأ من وظيفة الصحافة والاذاعة والسينما والمسرح والمدرسة وكل وسائل الثقافة الأخرى .

والطاقة التى يملكها قراء الصحف ومستمعو الاذاعة ودور المسرح والسينما طاقة محدودة وهى إما أن تصرف فى الهذر والفراغ والاستجابة الغريزية ، والفضول الرخيص ، وإما أن تصرف فى التهذيب الروحى والتنور الفكرى والتوجه الاجتماعى . وفى الحالة الأولى ما يزرى بكرامة الانسان فى ذاته . ويعطل جهده كفرد وكعضو فى شعب ، وفى الحالة الثانية ما يسمو به كانسان ، وما يرتفع به كعضو فى جماعة .

أما المدرسة فقد آن الآوان لوصلها بالمجتمع . والقضاء على هذه العزلة التى تعانيها ببرامجها ومدرسيها وتلاميذها وجوها المدرسى كله . آن الآوان لتكون الدراسات الاجتماعية

النظرية والعملية فى المحيط المدرسى جزءا لا يتجزأ من برامجها العامة . وحين يجد المدرس ويجد التلميذ أنهما مكلفان دراسة ناحية من نواحى المجتمع نظريا وعمليا ، سينفتح أمامهما مجال جديد لانفاق الطاقة الزائدة والاهتمامات الحبيسة والفراغ الميسور .

ولقد استغرقتنا الأهداف الاجتماعية فى الحديث ، ومن حقها أن تستغرقنا ، ولكن الى جانبها اهتمامات فنية وإنسانية ، يجب أن يكون لها حساب فى حياة كل فرد لأنها كفيلة أن ترفع من قيمة الحياة فى نظره . وأن تغلى من سعر الوقت فى حسابه ، فالقراءة ومشاهدة معارض التصوير ومتاحف التماثيل ، والهوايات المختلفة التى تلبى الغرائز ، والمواهب وتنميها وترتفع بها وتزكيها ... كلها عادات واتجاهات تخلقها التربية المنزلية والتربية المدرسية بالقدوة والتعليم ، كما تنميها وسائل التثقيف العامة من صحافة واذاعة وسينما ومسرح بالإيحاء والتوجيه ، وهى جميعا تشعر الفرد بقيمة الوقت ، فيتحرج من اضاعته فيما يؤذى خلقه ويضيق أفقه . على طريقة الآلاف من رواد المقاهى ، والمتسكعين فى الطرقات العامة والمستمعين للرخيص من الأغانى ، والمشاهدين للتافه من الروايات والأفلام وهم الكثرة الكثيرة من سكان المدن مع الأسف الشديد .

إن معركة قتل الوقت يجب أن تقف فى مصر ، فهذه الساعات الضائعة هى العمر الغالى ، الذى يوهب للفرد مرة واحدة ، فيمر مر السحاب ، حيث ينتهى الأجل وتطوى صفحات الكتاب .

سيد قطب

بصرت بالراحة العظمى فلم أرها تنال إلا على جسر من التعب

"أبو تمام"

لكى نخلق ذوقا فنيا عاما يجب الا نهبط بالفن الى مستوى العامة

كلمة للأستاذ زكى طليمات

أعدت وزارة الشؤون الاجتماعية مناظرة فى هذا الموضوع بمسرح حديقة الأزبكية ، وكان يناصر الرأى الدكتور محمد صلاح الدين بك ، والأستاذ يوسف حلمى المحامى ويعارضه الأستاذ يوسف بك وهبى والأستاذ زكى طليمات ونشر فيما يلى إحدى الكلمات التى استطعنا الحصول عليها .

سيداتى ؛ سادتى :

أظنكم توافقوننى على أنه من الأفسح لميدان القول المفيد ومن الأوضع للأمر فى نصابه ، ودفعا للحرج والتزمت فى فن جديد بمصر ، مابرح فى مراحل النشر والإذاعة ولم يصلب له عود وتستقيم له طريقة ، أن يكون عنوان مناظرتنا هذه ، غير العنوان الذى رسم لها على بطاقة الدعوة ، لأن مناظرتنا فى عنوانها المذكور ، تخرج على حدود كل مناقشة ومناظرة ، وشأنها فى هذا شأن المواضيع التى لاتحتمل التأويل ولا تتسع لاختلاف فى وجهات النظر . إ هل يصح أن نقيم مناظرة موضوعها "الشرك بالله" أو "حقوق البلاد وواجب التمسك بها" وما هو على غرار هذا ؟ ما أظن لأننا إذا أخذنا بالطرف الآخر مما جاء فى هذه المواضيع أى اذا أخذنا بنقيض ماجاء فى عنوانها ، تورطنا فى الخطأ المبين ، بعد مكابرة ومناقشة لا خير فيهما .

ولهذا أقول ، وما أقوله فى حدود عنوان محاضرتنا ، كما أنه لا شرك بالله أبدا ، ولا تفريط فى حقوق البلاد أبدا ، فلا اسفاف بالفن إلى مستوى العامة إذا أردنا أن نخلق ذوقا فنيا عاما .

لاقول عندى أظاهر به زعم الزاعم أن الهبوط بالفن بطريق تملق رغبات الجمهور الكبير ، ومداهنته ، واستغلال مزاجه السقيم ، أمر لازم لكى يقبل الجمهور على دور التمثيل ، لأننى فى مقدمة من يعلم أن المسرح فى أبعد غاياته يهدف إلى تنمية الذوق ، واستثارة باعث الجمال ، وأن الذوق إذا ارتقى وتهذب ، سمت نظرتنا إلى الحياة وتنزهت أقوالنا وأفعالنا عن الكثير من الصغار والعيب ، بل أنها لتسير فى رحاب الخلق الكريم ، أعلم هذا وأزيد ، أن من ينيل أمته درهما من الذوق السليم ، أفضل وأكثر مثوبة عند الله والناس ممن يمنحها قنطارا من العقل .

فما كان أجدر بمناظرتنا هذه أن يكون لها عنوان آخر مثل (التوفيق بين ما يقدم على المسرح المصرى وما يجب أن يقدم) أو مما هو فى نطاق هذا حتى يكون فى اختلاف آراء المتناظرين مجال أوسع للقول المفيد ، وحتى نهتدى إلى دستور تستهدى به الفرقة التمثيلية العاملة لتكون فى المنهاج السوى ، وهو أشد ما يرغب فيه ، كما اعتقد حضرة صاحب المعالى وزير الشؤون الاجتماعية الذى تفضل مشكورا بجعل المسرح المصرى موضوعا تتجادل فيه وتتشابك بالحجة والبرهان لتنتهى إلى ما فيه خيره وفلاحه .

وواجب الإنصاف يقضى بأن أقرر ما أظن أنه قد غاب على من وكلت إليه الوزارة أمر تنظيم موسمها الثقافى هذا ، مخالفته عنوان هذه المناظرة فى ما يجب أن يكون عليه ، لأنه رجل ذو ثقافة وبعد نظر وإنما يلوح لى أنه تعمد هذا الحرج بدافع حرص منه على أن يجعل قضية المسرح المصرى فى مناظرته هذه ، فى أفقها المثالى العالى ، وليقطع أحبولة كل بهلوان ، وتمويه كل مشعوذ ، وتطاول كل هزيل فى فنه . ويسد عليه منافذ العمل بعد أن يحسر عنه الستار ويكشفه على حقيقة حاله .

فعل هذا ليقول بلسان غيره — وهذا حذق أشهد له به — أن الفن ليس كسبا ماديا فحسب وأن المسرح إذا لم تكن له غاية تهذيبية ورسالة خلقية وأغراض تمتد إلى الفن الصحيح الذى ينمى الذوق ويهذبه ، فهو لغو وباطل ، وأن الشهرة التى تصيب القائمين عليه يجب أن تكون من شهرة المصلحين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، لا من شهرة السفاحين الذين يرتدون لباس الشهرة ، أو المتأنقين فى سلب الأموال .

كل هذا جميل من صديق الأستاذ أنور أحمد ولكنه ليس بليغا ، وكلكم تعلمون ماهية البلاغة فى القول والعمل ، ولعل عذر الأستاذ أنور فى هذا وأرجوه المعذرة أنه من عشاق المثل العليا ، والهيام بالمثل العليا ليس بالأمر المستغرب وهو من مميزات هذا العصر ، عصر الانتقال فى حياتنا المصرية فنحن ننشد هذه المثل بألسنتنا وقلوبنا فى كل ناحية من نواحى حياتنا حتى فى طريقة أكل الفول المدمس ! !

والمثل العليا هى إرادة ما هو غير كائن إلى ما يصح أن يكون ، ونحن ننشدها ، إذ يصبح لا يرضينا ما هو كائن ، ولكن لا يخفى أن بين ما هو كائن بحكم البيئة وعوامل الاجتماع وبما هو مفروض بحكم مقدار التطور وإيقاع الزمان ، وبين ما يجب أن يكون عليه الأمر فى أفقه العالى ، برزخا مترامى الأطراف لا تكفى فيه الرغبة وقوة الذراع لاجتيازه . ولست بما أقول أحاول أن أجعل الطموح يتطامن ، والأمل تخبو جذوته . وتوخى تحسين الحال يفقد بعينه من القوة ، وإنما أقول أن نأخذ بالاعتدال فى الأمور وأن نحاول بقدر ما بين أيدينا من وسائل وعناصر ، بل علينا أن نعتصر كل هذه العناصر وأن نستخرج أكبر الفائدة مما بين

أيدينا من وسائل ، ولكن فى رفق لا ينكسر معه الإناء الذى نريد أن نشرب كل ما فيه من ماء، وفى هوادة حتى لا نشرق ونغص بالماء، ولا ضير أن تكون المثل العليا لنا هاديا ودليلا .

المسرح فى مصر حدث جديد عمره بيننا ثمانون عاما فنحن من أدوار حياته ومراحل تطوره مازلنا فى دور التبشير ومرحلة النشر والاذاعة والتعريف . المسرح عندنا مازال فى دور التأقلم ولم يضبح بعد أصيلا فى أدبنا وفنوننا إلا بأعراق واهنة . أقلام كتابنا ، إلا القليل منها بالطبع ولله الحمد، ما زالت تحاول متعثرة فى كتابة المسرحية، والممثلون يبذلون جهدهم، والجمهور فى أكثريته مازال يغشى دور التمثيل لمجرد التسلية ، أو ليقال عنه أنه يحضر التمثيل ولم يصبح التمثيل له بعد غذاء روح وحاجة وضرورة .

وفن التمثيل عناصره المؤلف والممثل والجمهور ، بل أعتقد أن الجمهور أهم عناصره لأن من الجمهور يخرج المؤلف ، والمثل والجمهور هو الذى يغذى المسارح ، وهو الذى يفرض إرادته بطريق غير مباشر على أهل التمثيل ، بل أن الجمهور هو المسرح ، والعكس بالعكس ولهذا قالوا : " أن المسرح مرآة الشعب " وأقول أنا كما تكونوا يكن مسرحكم .

الجمهور وما يريد مشاهدته فوق المسرح وما يجب أن يقدمه أصحاب الفرق اليه من غير أسفاف ليكونوا فى نطاق فهم هو قضية المسرح اليوم ، وإذا قلت الجمهور ، فانى استثنى خاصته وهم فئات غير كثيرة ولهم الحظ الموفور من الثقافة والعلم .

أقول إن جمهورنا المسرحى الكبير لم يتشكل بعد ، أى لم يستقر فى مستوى متقارب الطبقات من حيث التعليم والتثقيف ، ولا حاجة بى إلى ذكر النسبة المئوية للمتعلمين وغير الأميين ، فهو لذلك يتفاوت تفاوتا كبيرا من حيث منازله فى تذوق الرواية المسرحية، ولا يمكن والحال ما أجملت وصفها، أن نقدم له مسرحيات لها كلها مستوى واحد أو متقارب من الفن والأدب .

إذن كيف يعالج مدير الفرقة هذا الموقف ؟

إذا قدم له ألوانا من المسرحية الرفيعة أدبا وفنا ، انصرف الجمهور عن مشاهدتها.. ، وله العذر لأن حضوره التمثيل ليس إجباريا والإنسان لا يجبر على تناول طعام تعافه نفسه دائما ، والتمثيل طعام روح ، وإذا قل إقبال الجمهور قلت موارد المال الذى هو عصب كل شىء ، وعلى فرض أن هناك هيئة كبيرة تمد صاحب الفرقة بالمال الكثير ولا يهمها أمر الخسارة، فانى أقول فى هذا الصدد أنه لا خير من قيام هذه الفرقة، لأن المسرح الذى لا تغشاه الجماهير غير جدير بالبقاء، ومثله فى هذا مثل المسجد الذى لا يغشاه المصلون .

وإذا هبط مدير هذه الفرقة فاستجاب إلى الجمهور فى كل رغباته ، وأسف إلى حماقاته فقد خرج من مصاف الفنانين والمصلحين وأصبح فى عداد التجار والمتكسبين ، وتحول مسرحه إلى ما لا أسميه .

على ضوء هذا تبدو واضحة الخطة المثلى، وهى الأخذ بالاعتدال فى ما نقدمه إلى الجمهور من روايات رفيعة وغير رفيعة ، والله يحب الرفق بالأمور ، والله جلت قدرته أنزل كتابه المبين فى أسلوب بليغ يفهمه كل الناس .

و إذا قلت الرفق فلست أقول الإسفاف ، و إنما أقول مطاوعة الجمهور فى حذر و يقظة والنزول اليه بقدر، نشوقه بالسهل اللين لينصت الينا و يقبل علينا لنفرغ بعد ذلك فى واعيته ما نريد ، نتزل اليه درجات لنأخذ بيده فاذا ما قبضنا عليها جذبناه نحونا وارتقينا به درجة فدرجة وهكذا دواليك .

إن الذوق الذى ننشد تكوينه لا يصب صبا فى فم الجمهور و إنما هو نتيجة أن يفهم ما نريد قوله له وأن يستسيغه لكى يهضمه وليسرى فى روحه عافية كما يسرى الغذاء فى الجسم. واذا لم يفهم الجمهور ما نقدمه له و يتدرج فى فهمه هذا فلن يستفيد شيئا مما نقدمه اليه .

والفارق بين الإسفاف أو الهبوط ، والنزول الى الجمهور بقدر ورأى ، كالفارق بين الخنوع والتواضع ، والرق والطاعة ، فارق واضح المعالم والحدود، أن الذى يسف و يهبط لا يستطيع أن يرتفع إذ ليس للاسفاف غاية غير الاسفاف ، فى حين أن من ينزل بقدر وهو يعلم أنه ينزل لغاية يستطيع أن يصعد ، وشأنه فى هذا شأن المتواضع مهما كبر تواضعه فلن يقبل أن يخنع أبدا، وشأن المطيع، مهما أخذ بأسباب الطاعة فلن يقبل أن تنزله طاعته إلى منزلة العبيد والأرقاء .

والنزول الى الجمهور ، أو بالأحرى أن لانتعالى على الجمهور بما نريد قوله بطريق المسرح ليس بالأمر الهين ، بل هو فن كبير لأن القدم فيه سرعان ما تنزلق نحو التهريج اذا لم يكن هناك علم و يقظة ؛ والفن غير التهريج ؛ وفى استطاعة الممثل أو المخرج أن يعمل فى مسرحية أدبية رفيعة فيحيلها شعوذه وتهريجا لأنه لا يملك فنا ، وفاقد الشىء لا يعطيه كما أن فى وسعه أن يحيل المسرحية الضئيلة الحظ من الفن عملا فنيا كبيرا اذا عالجها معالجة فنية صحيحة ؛ والعبرة فى كل عمل فنى بالمعالجة وليس بالموضوع ؛ وما من مسرحية مهما ضؤل حظها من خصب الموضوع ، ومهما تنكرت وسائلها التى لها ما ورائها ، إلا وهى تهدف إلى الفضيلة .

وأختم كلمتى فأقول أن فى هذا الفن الكبير ، فن النزول الى الجمهور بغير اسفاف ، ثم الصعود به من غير أن ينزل به الدوار ، فليتبارى أصحاب الفرق العاملة ولنتبادل نحن المتناظرون انخاب الجدل ، لأنه فن له صراتب ومنازل وفيه مزالق وفيه مهاوى" .

زكى طليمات

مدير المعهد العالى لفن التمثيل العربى

الإحسان وروح العصر

للأستاذ ابراهيم ابراهيم يوسف

الإحسان فى معناه الشائع اليوم بين الناس ، هو صفة خلقية تجمع بين أمرين : طابع ذهنى سليم ، وصدق إحساس نحو من قست عليه الحياة قسوة لم يستطع منها مخرجا .

ولعل هذا الإحساس وذلك التفكير مرجعه جميعا إلى الحياة العائلية ، وما تزكيه فى المرء من عواطف ، وما تجره لتجارب كان بعيدا عنها كل البعد ، لولا انغماسه فى المسئولية العائلية ، وإدراكه لها وحسن تقبله إياها . بل إن مجرد التظاهر بحمل هذه المسئولية ، قد يخلق فيه يوما ، إن قريبا أو بعيدا ، هذا الشعور بالواجب نحو الغير .

وإذا كان الشعور بواجب تحمل المسئولية عن الغير على أشده عند الأبوين نحو طفلهما وهذا مافرضته الطبيعة ، فإن المرء كلما ارتقى نحو الكمال الإنسانى ازداد تقبلا لتحمل مسئوليات عن غيره ممن لاحيلة لهم — وذلك مادعت اليه الأديان كلها . فمن دين إلا وذكر الإحسان أى التكفل برعاية أولئك الذين هم أحوج ما يكونون إلى هذه الرعاية وذلك الإحسان ، وأولهم الوالدان ، وذوو القربى ، ويليهم اليامى الذين لا عائل لهم ، والمساكين الذين لا يملكون قوت يومهم ، وأبناء السبيل الذين لا مأوى لهم ولا عمل إلا أن الإحسان يبقى قاصرا على ما يقوم به الفرد طواعية نزولا على ما تستشفه نفسه من حب الخير ، وما يقضى به العرف الأخلاقى بين الجماعة فى بيئته التى يعيش فيها ، وما يدعوه إليه دينه الذى يؤمن به . والحق أن فكرة الإحسان فى ذاتها ، وكذلك مدى تنفيذها ، كانت تتبع الطور الذى عليه المجتمع ، وتحمل طابعه ، وتنم عن النظرة الاجتماعية والنظرية الاقتصادية العامة المعمول بها فيه . فمثلا جاء على اليونان حين من الدهر كانت توجه فيه كل اهتمامها فى إسداء الاحسان إلى المواطنين من سكان المدن الذين جرفتهم قسوة الحياة ، تحت ظروف اقتصادية غير مواتية إلى التعطل عن العمل والانتاج ، حال أن لا حيلة لهم ولا عدى لهم عن مواجهة هذه الظروف . ورغم قلة عدد هؤلاء فى العصور المتقادمة فقد كانت مشكلة مزمنة أخذ المفكرون فى كل عصر يعملون على استنباط حلول لها تتفق وروح ذلك العصر . فكان منها مثلا (١) التصدق على الفقراء علانية يؤديه الأفراد وتؤديه هيئات حكومية على نحو ما تفعل اليوم وزراء الشؤون الاجتماعية فى مصر بالمطاعم الشعبية .

وكذلك (٢) اعانة العائلات والأفراد الذين اخنى عليهم الدهر . و (٣) تمكين أفراد الشعب الذين تسرب إليهم الضعف والوهن ، بسبب الانهيار الاقتصادى أو سوء النظم ، من أن يعودوا الى سابق قدرتهم على العمل والانتاج ، رغبة فى حفظ كيان الدولة سليما معافى بقدر المستطاع . و (٤) اعفاء غير القادرين على دفع الضرائب من ادائها . و (٥) الغاء ديون من لا قدرة له على سدادها . و (٦) استيلاء الدولة على الأراضى المزروعة والقابلة للزراعة واعادة توزيعها بالقسطاس بين الذين يعملون فى الأرض دون غيرهم . و (٧) استيلاء الدولة على الفائض من الثروة عند غير المزارعين وصرفه فى وجوه توفير اسباب الرزق للمحتاجين . و (٨) اعانة المعوزين غير القادرين بالكساء والغذاء وبعض المال . هذه بعض وجوه الاحسان أداها الاغارقة فى بعض العصور المتقادمة . غير أنهم كذلك جربوا حلولا أخرى منها نفى المعوزين نفيا اداريا وفرضهم الهجرة على غير القادر على الانتاج بدعوى وجوب تناسق الرابطة الاجتماعية بين أبناء البلد الواحد .

وإذا كان هذا قد كان قائما فى اليونان فقد كان لمصر عقلية أخرى تأثرت الى الحد الأبعد بالدين، وارتأت أن الإحسان هو أن توفر للمحتاج ما يعوزه . وليس أدل على ذلك من كلمة وردت ضمن خطاب رفعه ثرى شعر بدنو الأجل الى القضاة الاثنين والأربعين الذين سوف يتولون — فى زعمه — محاكمته فى الآخرة ، هذا بعض نصه :

" ... ... وقد أعطيت خبزا للجائع وماء للعطشان وثيابا للعارى وزورقا لمن ليس له مركب ... " .

أما العرب من أهل شبه الجزيرة ، وأغلبهم بدو رحل ، يجوبون الفيافى طلبا فى زرع ترعى عليهم أنعامهم ، ولا يستقرون فى مكان إلا بقدر ما يتزودون به ، أو يتم لهم فيه بيع أو شراء ، فإن الإحسان كان عندهم لا يعدو شربة ماء أو جرعة لبن و بعض تمر النخل — وهذه ، عند الذين يعرفون حياة الصحراء ، هى أثمن وأغلى ما فى الحياة .

هذه ألوان ثلاث من فهم الشعوب لمعنى الإحسان قبل قيام الثورة الصناعية التى خلقت طبقة من الرأسماليين أصحاب المصانع الذين ظلوا مستمسكين بأن همهم الأكبر هو الحصول على عمال بأجور منخفضة ممن لم تستنفد قواهم فى العمل بعد . وأجمعوا أمرهم على أن يكونوا فى مأمن من تدخل الحكومة فى اقتصادياتهم ، بل وسلكوا كل سبيل كيما تنفض الحكومة يدها من الاحسان الى

الذين هم فى حاجة إليه ليتوفر لهم فى سوق العمل أكبر عدد ممكن من العمال بأزهد أجر . غير أن النزعات الديموقراطية لذلك العصر اتجهت فيما يختص بالفرد، وجهة أخرى فى ميدان الاقتصاد والاجتماع . إذ كانت ترمى إلى جعل سلطة الآباء لا تمتد إلى ما بعد بلوغ الأبناء سن الرشد . ومن ثم نما الاعتقاد بأن للفرد حقوقه كما له كفاءاته التى تؤهله لأن يدير شؤون نفسه ، دون ما حاجة إلى تدخل عائلى أو تدخل الحكومة . عندئذ أحس الناس بوجوب إنشاء هيئات أهلية للاحسان تتولى إعانة المحتاجين . وسرعان ما رأت أن واجبها الأول هو تعهد إزكاء النفوس وتنمية القوى الطبيعة بعد أن اضمحلت بسبب العوز وما تجر إليه الحاجة من استكانة وضعف . وقامت الجمعيات الإصلاحية تشد أزر النقابات فى مطالبتها الحكومة وأصحاب العمل بتحريم تشغيل العامل وقتا إضافيا أكثر من وقت العمل اليومى، حتى لا تنهك قواه وحتى يتيح لغيره فرصة العمل فيكسب قوته عوضا عن أن يبقى دائما أسير الإحسان الذى يقدم إليه وهو عاطل .

كان هذا فيما مضى من الزمان قائما ، وفى مستهل عصر النهضة شائعا ، وإن تناوله أحرار الفكر بالنقد والتجريح . أما اليوم فإننا نعيش فى عصر أصبح الوعى الاجتماعى لدى أهله أقوى من أى وعى آخر . بل هو ألزم من غيره لضمان سعادة الشعوب . وها هم أهل البصيرة من أهل الاجتماع يقرون بأن تقدم الدولة فى مستقبل الأيام رهين باصلاح أحوالها إصلاحا يرتضيه العدل الاجتماعى ، لا عدل المتسيطرين ، على أن يتمشى مع الديموقراطية الشعبية ، لا ديموقراطية الرأسماليين . وإذن فلا عجب أن نرى كل هيئة حكومية وكل منظمة سياسية تضع لها برنامجا اجتماعيا تدعو له وتعمل على تحقيقه ، بل لعل ذلك خيرا كله . ومن الخير أن لا ننسى أن أداء الإحسان على النحو العتيق الذى فصلناه تفصيلا لا يثمر إلا التباعد بين طبقة الفقراء والمعوزين ومن إليهم و بين بقية أفراد الأمة الواحدة .

أما سبل الإحسان التى ينشدها العالم اليوم هى أولا تهيئة المحسن اليه لأن يؤدى عملا لائقا بمقدرته الانتاجية ، جسمانية كانت أو عقلية ، ليرتزق منه ، و إيجاد هذا العمل له فإن كان هناك أى عائق يمنع تحقيق ذلك الوجه الأكمل، فعلى الدولة أن تبادر بذلك بإصلاح ذلك النقص . أما إذا كان العائق قهريا ولا حيلة فيه ، فلتدر عليه الدولة من أموالها ما يكفل له العيش والحياة المحترمة التى تليق بانسان فى مجتمع محترم

وللدولة أن تسلك للحصول على المال اللازم لتحقيق جميع ذلك كل سبيل . ولا حرج فى رأى علماء الاجتماع على أية حكومة فى ذلك . أما اذا ما أهملت هذه الأمور فان النتيجة الحتمية لاهمالها هى القضاء على كل أمل فى اعتزاز الفرد بشخصيته وكرامته وعمله المنتج ، وبالتالى القضاء على نهضة الشعوب وسعادتها .

أما بعده فهذه هى الخطوات الأولى السريعة لعلاج الإحسان ، أما علاجه الحقيق ، وأعنى به القضاء على الأسباب التى أدت إلى عوز المحتاجين فوجب مدهم بالاحسان فهذا يشمل كل ناحية من نواحى الحياة . ولذلك قضت الحكمة أن يكون لكل حكومة ولكل منظمة سياسية برنامج اجتماعى تدعو له وتعمل على تحقيقه . وهكذا نرى أنه لا سبيل الى اصلاح ناحية وترك غيره وإنما يجب أن يشمل الاصلاح النواحى جميعا ليكون لأى إصلاح أثره . ولعلنا نأخذ بهذا المبدأ حين نوقن بأننا سائرون اليوم ، أردنا أو لم نرد ، فى تيار من الوعى الاجتماعى الذى يفرض نفسه فرضا على الناس .

ابراهيم ابراهيم يوسف

ولو لم يكن فى كفه ، غير نفسه بجاد بها . . فليتق الله سائله !

"حبيب بن أوس"

من صرحنا الاجتماعى

للأستاذ محمد عبد الرحيم

كان الاتجاه فى القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر متأثرا جد التأثر بالمبادئ الفردية. فكان الفرد متروكا لحظه وما يتخذ من وسائل فى حياته ومعاشه بحيث لاتتدخل الحكومات بين الأفراد لغير حماية الأمن والنظام وجباية المكوس والضرائب بأنواعها . فنشأ عن ذلك التهام القوى للضعيف وبلغ التطفل الاجتماعى فى كل الأمم المتحضرة أقصى دركات التأخر والانحطاط ، عاشت الملايين من الناس فى حمأة الرذيلة والفاقة ، لا يتعلمون ولا يعنى بأمرهم صحيا وخلقيا . واستحلت الأمراض والعلل الهدامة فى جسم المجتمع المريض ، ولم تكن لأقوال الكتاب قيمة سوى تحرك بعض المحسنين بين آن وآخر لإنشاء مؤسسات للاحسان ودور للعجزة ولكنها كانت من القلة بحيث تشبه الذرة النائمة فى محيط الرمال . بيد أن ضمير الكتاب ظل يصور المآسى الاجتماعية الملتفة به والتى تخيم على الشعوب والأفراد . كما انبرى رجال الاجتماع فى مختلف الأمم يكتبون ويؤلفون فى المباحث الاجتماعية ومعضلات الاجتماع العلمى راجين أن تتبدل أحوال البشرية الى درجة ارتقائية تقضى على الفوارق البارزة وتهيء للافراد والجماعات حياة فيها السعادة والتجانس .

ولسنا بصدد التأريخ لهذه الحركات ، ولا بصدد المقارنة بين الاتجاهات التى تطور إليها العالم ونشأت عنها المبادئ الاقتصادية والتى لا تزال فى صراع الى يومنا هذا . على أن الذى يجب أن نقرره هنا أن فساد النظم الاجتماعية لم يقتصر على أمة دون أمة ولا شعب دون شعب وان أحوال العالم كانت فى كثير من الأحايين تتأثر بتطورات غير مظورة . فالحروب التى خاضتها البشرية كان لها كثير من الفضل فى التقريب بين الطبقات المختلفة فى الشعب الواحد ونحو الفوارق الى حد ما ، وتحقيق العدالة الاجتماعية بصورة من الصور وإن لم تأخذ مداها الواسع حتى يومنا هذا . فمثلا تقدم "شاتون كرفورد" بخطابه فى مجلس العموم فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٤١ وصور الكارثة التى حلت بقرية "روتشديل" بانجلترا عقب الانقلاب الصناعى الذى شل حركة المصانع اليدوية وقضى عليها فقال :

يوجد فى قرية "روتشديل" ١٦٠ شخصا يعيشون على ٢٥ مليما فى الأسبوع .

" ٢٠٠ شخص " ٤٠ "

، ٥٠٨ أشخاص يعيشون على ٥٠ مليما فى الأسبوع

، ٨٥٥ شخصا « ٧٥ « «

، ١٥٠٠ شخص « ٩٠ « «

وخمسة أسداس هؤلاء الأشخاص لا يجدون غطاء يتدثرون به وتحدثت الصحف السيارة مصورة تلك الآلام التى يعانيها هل هذه القرية ومنافاة الضرائب المفروضة عليها للعدالة الاجتماعية . فما كان من الحكومة إلا أن أقرت مشروع الضرائب بنسبة الدخل .

وأتت الحرب العظمى الماضية بالاختراعات الحديثة والصناعات الكبرى فزادت الروابط بين الشعوب وربطت العالم كله بحلقة من الاتصال بحيث أصبحت التأثرات التى تحدث فى أمة تجد مجاوبة من الأمم الأخرى وكان أن آمن الناس والحكومات بأن المال وحده لا يكفى لبناية الشعوب وتأسيس عظمة الأمم، ووضعت الآراء التى كانت خيالية فى الماضى، مبادئ أساسية للتنفيذ فى الاتجاهات الاجتماعية وقست حضارات الأمم بمقياس رقى أفرادها، وانبعاثهم نحو تحقيق المساواة والعدالة، لا من حيث الملكية فحسب، بل من حيث الصحة وتقوية ذاتية الفرد وشعوره بكرامته، وتفتق الملكات الذهنية فيه وبعث مواهبه التى قتلها الجهل والفقر والمرض . وحاربت الأمم هذا الثالوث المخيف، رغبة منها فى الخير الفردى، والخير العام .

وأتت الحرب الحالية فأعلت من شأن الديمقراطية وحاول قادتها أن يقرروا فى الأذهان دعائمها الصحيحة لمختلف الشعوب وأنها تقوم على سيادة وطنية ثابتة ومساواة أمام القانون وفى الحقوق ، وحرية اجتماعية ومدنية وسياسية . ولم يزد شعور التعاون بين الأمم كلها بمثل ما حدث فى هذه الحرب الأخيرة .

ولم تكن مصر بمعزل عن هذه الاتجاهات كلها، وهى بحكم مركزها الجغرافى فى مفترق الطرق بين الشرق والغرب الى مكانها الملحوظ بين أمام الشرق وهيمنتها على جانب خطير من طرق المواصلات، وقد شهدت كل النشاط السياسى والحربى فى الحرب الأخيرة، هذا الى تاريخها القديم الذى يخلق فى أبنائها العزة والشعور بالكرامة ويجعلهم يحاولون جاهدين أن يبعثوه بين الأمم كريما وضاء . وما كان لمصر وقد أرضعت العالم مجدها، ودونت فى التاريخ صفحات ذهبية مشرقة أن تتأخر حيث يجب أن تتقدم وتسبق . وما قيام وزارة الشؤون الاجتماعية إلا مجاوبة لهذه الآمال الكريمة .

والباحث الاجتماعى لا يغفل تطورات العالم من حسابه ولا القرون الطويلة التى مرت بها هـذه البلاد ولا العوامل التى أضعفت من شأن الفردية فيها . ولا ينتظر أن يغمض عينيه و يفتحهما كى يرى هذه البلاد روضة فيفانة ، ترف بالغنى ، وتشيع بالصحة ، وتموج بالعلم والجاه ، لأنه يجد أمامه المشاكل الاجتماعية أكثر من أن تعد وكلما حلت عقدة تطلع الى غيرها رجاء أن يستشرف على النهاية و يستبشر بطلوع فجر يؤمن الناس فيه بأن الخير لا يأتيهم من خارج نفوسهم ، بل من حوافزهم الباطنة التى تدعوهم الى العمل ومسايرة الإصلاح .

وما من شك فى أنه شرعت قوانين لها خطورتها ومقامها الرفيع فى قائمة الاصلاح الاجتماعى وآخرها مشروع مكافحة الأمية الذى كان امتهاجنا به عظيما ، لا لأنه ولد كاملا ولكن لأن كل تشريع يحاول تثبيت شخصية الفرد ينقذنا من الوصوليين والسماسرة و يجعلنا نتطلع بقلوب مستبشرة ، وفى كثير من الحفاوة الى سيادة الأمة ، سيادة صحيحه يجعلها جديرة حقا بالحياة الديمقراطية السليمة و يقضى على الآفات التى تعوق صيحات المخلصين من أبنائها .

وهذا معالى وزير المالية يقول إنه يوجد بين المصريين ثلاثة عشر مليونا لا يملكون شيئا من الأراضى الزراعية . وهو قول على ما فيه من مرارة ، يوضح لنا مقدار تباين الطبقات فى مصر ، ويجعل الباحث المنصف يدرك مقدار الصعوبات التى تعترض المصلحين وتجعل الوعى الاجتماعى يستيقظ فى خمول وتراخ ، ولكنه لا يحمل على اليأس ولا يبعث على التشاؤم والنوم . فقد تقدمت خطبة العرش بمعالجة هذه الحال وغيرها لتحقيق العدالة الاجتماعية ، أو رفع المستوى الاجتماعى بحيث يتحقق لكل فرد حياة انسانية . وقد قامت كل وزارة من الوزارات بالمساهمة من طريقتها فى رفع هذا المستوى واتجهت إلى استغلال جميع الموارد لتحقيق الصالح العام .

وهنا يجدر بنا أن نسأل . هل يجب أن يظل المثقفون بمعزل عن هذه الاتجاهات وأن نكتفى بالقول نرسله بين وقت وآخر وأن يبقى صفوة القادرين فينا بعيدين عن مناصرة الحكومة فى مشاريعها القومية التى تنهض بها وتدعو اليها . ان ظل الأمر هكذا فما أبعد بفجر الإصلاح منا . لقد علمتنا الحرب ألوانا من الحياة ، أخذ كل منا نفسه وأهله بها . ومن الكرامة الوطنية أن ننهض فى السلم كراما نعلن الحرب على أحوالنا الاجتماعية بحيث يكون سلاحنا فيها التعقل والطموح لنرفع من شأن إخواننا فى الوطن وشركائنا فى نعمائه و بأسائه ونأخذ بيدهم إلى حياتنا التى نعيش فيها ونؤدى لهم ضريبة المواهب وحق أخوة الوطن الكريم .

لقد ناديت فى الصحف السيارة بوجوب تجنيد المتعلمين على اختلاف مشاربهم وتباين ثقافتهم تجنيدا اجباريا الى مسقط رءوسهم حيث يساهمون وقت فراغهم فى رفع مستوى

أهلهم وعشيرتهم من حياة الجهل الى نور العلم. وأوضحت أن مكافحة أمية القراءة والكتابة وسيلة لا غاية. ولمكافحة الأمية العقلية يجب أن يحاضر الفرويون ومن فى حكمهم بواسطة المتعلمين من أبنائهم المجندين . محاضرات منوعة فى كل المباحث الثقافية التى تخصصوا فيها، توفروا عليها . وان قرية تظفر بثلاثين محاضرة فى عام واحد وفى غير باب واحد لكفيلة بأن تجعلنا أمام وعى انسانى جديد وعقليات جديدة وحياة ناضجة رشيدة وأن هذه الدعوة يحسن أن تجد توجيها ورعاية فعلى المتعلمين أن يدفعوا ضريبة المواهب كما يدفع الغنى ضريبة الزكاة ، والمثول ضريبة الأراضى وأن نؤمن جميعا بأننا فى اتجاهنا هذا نكون قد عملنا بقول النبى صلى الله عليه وسلم حينما رجع من إحدى المغازى فقال "رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر. جهاد النفس" .

فخلق الوعى الاجتماعى وتثقيف الشعب الذى لم تسعده الظروف بالجلوس منذ الحداثة الى المؤدبين فى دور العلم يجب ألا تقوم به الحكومة وحدها لأنها مهما عملت سيكون عملها بطيئا محدودا لا يوائم النهضة ولا يفى بحاجات العصر وكرامة الأمة ولا الى ما تصبو اليه من وضع كريم سريع بين سائر الشعوب .

ومتى شهدت القرى سنة واحدة هذه الحركة استطعنا ان نطلب الى أفراد كل قرية أن ينهضوا من تلقاء نفوسهم باختيار قطعة أرض مهملة تجاور قريتهم و باشتراكهم جميعا يمكن أن يقام عليها مضخة للمياه وصنابير للشرب ومذياع للاستماع ومتنزه صغير . وفى هذه الحملات الكريمة التى أرجو أن تتم يمكن أيضا أن يغمر الجميع نوع من التعاون فتنهض كل جماعة فى محيطها بتأسيس الجمعيات التعاونية التى تبعث العزة فى النفوس وتعمل اصالح الجميع .

ورب سائل يقول هبك أحكمت هذه الخطة وأنشأت الوعى الاجتماعى وكافحت الأمية فلا يزال من التالوث الفقر والمرض وكيف تتكون الجمعيات التعاونية من الأيدى الفارغة والبطون الجائعة . ولقد أجاب على هذا السؤال قبلنا إثنا عشر عاملا فى حى متواضع بحارة بقرية روتشديل بانجلترا عام ١٨٤١ فلقد قال "ملز أشورث "Miles Ashuorth لرفاقه إن صلاح أمرنا لا يكون إلا باعتناق تعاليم "روبرت أوين" وما سمعناه عن تعاليم "وليم كنج" وتجربته فى بريتون عام ١٨٢٧ وما تلاها . تلك النظم والتعاليم التى إذا أخذنا بها أنفسنا استعضنا عما عجزنا عن الحصول عليه من زيادة فى أجورنا بزيادة فى قوة الشراء التى تحصل عليها فإذا اتفقنا على أن نكون جمعية تعاونية لنا على نمط جمعية "بريتون" متنكبين العوامل التى أثرت فى نموها وازدهارها نكون قد سايرنا الحل المعقول فى أمرنا ونظرنا الحياة من كوة أوسع من التى نحن فيها وأنا واثق من أن الحصول على المال فى الحالة التى نحن فيها ليس بالأمر الهين ولكن العزيمة وحدها تذلل كل شئ . وبعد أن أمن الأعضاء على كلامه أملى

على جيمس دالى James Daly كاتب الجلسة — قرار الجمعية ثم قال "يجب أن نقوم فورا بجمع المال اللازم لمحل تجارى. أولا ولا ينبغى ذلك إلا بمراعاة الاقتصاد لتوفير المال اللازم لقيام الجمعية وقد جعلنا السهم فى رأس المال جنيها واحدا ولكل عضو من الأعضاء أن يكتتب فى سهم واحد يدفع منه ثمانية مليمات — بنسين — وقت الاكتتاب ويدفع الباقى على أقساط أسبوعية كل قسط منها ثمانية مليمات كذلك. وعلينا أن ندعو لعملنا هذا بين طوائفنا رجاء أن يصل الى عدد أكبر مما نحن عليه الآن .

وفى يوم الأحد الحادى عشر من أغسطس عام ١٨٤٤ تم انتخاب اثنين وثلاثين عضوا للقيام بأعباء الجمعية التى تأسست فى حارة تود بقرية روتشديل بانجلترا وافتتحت محلا تجاريا لها بايجار سنوى قدره عشرة جنيهات و برأس مال قدره خمسة عشر جنيها وبه أصناف محدودة من البقالة والدقيق والزبدة والسكر ويفتح فى ليالى السبت والاثنين من كل أسبوع ويظل مغلقا فيما عداهما وقد استقبل من غير أعضائه بفكاهات الناس وتندرهم وما دروا أن أبطال روتشديل قد وضعوا الدعامة الأولى لأكبر المؤسسات العالمية بحيث أصبحت قبلة البلدان ولها فروع فى العالم كله .

ونحن إذا استطعنا ان نزكى روح التعاون ونقرب معانيه الحقيقية الى أفراد الشعب وتبسط وسائله نكون قد قمنا بخير كثير بجانب ما تقوم به الحكومة من توزيع بعض الأراضى الزراعية واستصلاح ما لديها من أراض أخرى لتوزيعها .

على أنه يبقى واجب آخر لا يقل أهمية عن هذين يقع على المتخمين من المولين والملاك للأراضى الزراعية ذلك هو واجب الشعور بالرحمة مع المستأجرين والأجراء عندهم والمبادرة الى التخلص مما يزيد على حاجتهم من الأرض الجيدة بأثمان مقبولة للطامحين من ذوى الملكيات الصغيرة أو لمن لا يملكون أصلا واستثمار أموالهم فى المشروعات التجارية والصناعية حتى يساهموا بنصيبهم الوطنى وجهادهم القومى ولكى يفسحوا أبواب العمل أمام المتبطين ومن فى حكمهم ممن لا يكسبون قوتهم إلا بشق الأنفس وبذل الحياة .

(وزارة المعارف) محمد عبد الرحيم حسين

الرحمة بالحيوان

للأستاذ وديع فلسطين

غابت الرحمة بالحيوان عن العقول فى هذه البلاد بدرجة مثيرة للخواطر . وترجع أسباب ذلك إلى عوامل سنأتى على ذكرها . ويجدر قبل الاستطراد إلى سرد تلك الأسباب أن نذكر أن القوامين على الماشية والدواب ، والذين يتولون أمورها و يسخرونها هم طبقة الفلاحين ومن على شاكلتهم من « العربجية » . وهذه الطبقة لا تكاد تميز بين الصالح والطالح ، ولا تستطيع أن تدرك أن للحيوان عليهم حقوقا منها الشفقة والرعاية والعلاج ، فاولئك القوم أميون لا يعرفون القراءة ولا يلمون بالكتابة ، وقد ختمت الجهالة على عيونهم فحجبت عنهم حقائق بدهية ، وأصبحوا يعتقدون أن فى تسخير الدواب كسبا لها ، وأن الحيوانات لاتشعر بالطمأنينة إلا ممزوجة بالكد القاتل ، ولا تستعذب الراحة إلا بعد ضنى.

والأسباب التى إليها يعزى تقصير الشعب فى الرحمة بالحيوان هى :

أولا — الجهالة الغاشمة .

فالزراع والفلاحون قوم بسطاء ضربت عليهم المسكنة وأمسكتهم العيلة فأمسوا لا يعبأون بشىء ، ولا يهتمون بحاجات أجسادهم الضامرة الذابلة . إن وقفوا على زاد التهموه دون تبصر فى قذارته ، و إن لم يصادفوا طعاما أكلوا كسرة من خبز الذرة وجعلوا إدامهم جبنا « قريش » أو بقايا أسماك مملحة « ملوحة » . فإذا كانت تلك حالتهم مع أنفسهم ، فما بالك بحالتهم مع حيواناتهم وماشيتهم ؟ و إذا كانوا يقسون على أنفسهم ويسخرون أجسادهم من مطلع الغزالة إلى مغيبها ، فكيف تنتظر منهم أن لا يقسوا على دوابهم ويحملونها أضعاف أضعاف ما تحتمل .

إنها الجهالة ممزوجة بالحاجة ، والعتم متبوعا بالفاقة . فمن أولئك الفلاحين يدرك أن الدابة لها حمولة لا يصح تجاوزها ؟ وكم من فئة « العربجية » يعرفون أن فى القاهرة جمعية للرفق بالحيوان أنشئت منذ عام ١٨٩٤ لدفع القسوة عن الحيوان وعلاج المرضى منه ؟ وكم من هؤلاء أو أولئك يعرفون أن معاملة الحيوان بالعنف جريمة يعاقب القانون عليها ؟ أخشى أن يكون عددهم لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة أو الاثنين إن شئنا تفاؤلا .

فالجهل بالقانون ، والجهل بالقراءة والكتابة ، والجهل بأبسط قواعد الرأفة ، اجتمعت جميعها وتضافرت لتؤلف أول إتهام فى هذه القضية ، قضية القسوة على ذلك الحيوان .

ثانيا : رقابة لا تحس بها .

عشت فى القاهرة ستة عشر عاما وطوّفت شوارعها سارا على قدمى ، فلم ألمح فى هذه الفترة الطويلة جنديا واحدا يستوقف عربة نقل ويسوق ... الى نقطة البوليس متهما إياه بالقسوة على الحيوان . ولقد رأيت بعينى رأسى دواب يعييها الحمل تسقط فى قارعة الطريق تأهث مستجدية ، وشهدت دواب تتزلق فى الوحل لفرط إجهادها . فأين هى الرقابة القوامة على كفالة حقوق الحيوانات ؟ وأين الاشراف الذى يرمى إلى الحد من استغلال الإنسان للحيوان؟ إن شوارع القاهرة وسواها من المدن تعج بحيوانات جريحة ، وأخرى هزيلة ، فأين رجال الضبط ينقلونها إلى دور جمعيات الرفق بالحيوان ؟

هناك رقابة ، لاشك فى ذلك ولكنها رقابة ثانوية ، رقابة لا تحس بوجودها ولا نلمس أثرها . وقد نشرت " الأهرام " فى عددها الصادر فى يوم ٢٣ يونيه سنة ١٩٤٤ نبأ مؤداه أنه أقيمت فى شهر مايو من العام نفسه ١٤ قضية من مخالفات استعمال القسوة حكم فيها بغرامات تتفاوت بين ٢٥ و ٥٠ قرشا . أربعة عشر قضية فقط فى مدينة القاهرة فى شهر واحد ! هذا يدل على مقدار الرقابة فى عاصمة البلاد ، حيث تستغل الدواب أسوأ استغلال وحيث يفلت من يد العدالة عدد كبير من الجناة ، فيهم المتعمد وفيهم الجاهل .

ثالثا : أين مساقى الحيوان ؟

إذهب إلى القاهرة ، وجب جنباتها ، وزر ميادينها ، وطوّف فى ربوعها ، فكم مسقاة ماء للحيوان تجد ؟ لن تصادف سوى عدد قليل ، ولن تجدها مليئة بالماء . وإذا وجدت الماء فى مسقى ، فإما أن تجده آسنا أو عكرا . وقد كان ذلك مدعاة لأن يتبرع سعادة صالح عنان باشا بألف من الجنيهات المصرية لتنفيذ مشروع مساقى الحيوان ، ثم عاد سعادته فتبرع بجميع نفقات المشروع حال وضعه موضع النفاذ .

والحيوانات المجهدة ، وخاصة فى الصيف القائظ ، تحتاج إلى رى دائم يخفف عنها وطأة الحر ، ويبرد جوفها الذى يصبح كرجل الناطورة . ولكن مصر بخلت على الدواب بحقها حتى فى الماء .

رابعا : الفقر .

وثمة سبب آخر يحمل الفلاحين على القسوة على الحيوانات : الفقر . فالفقر هو الحجر الذى يصطدم به كل إصلاح فى مصر ، وهو سبب المشكلات التى تجل عن الحصر فى هذا الوادى الخصيب . الفقر الذى يغل يد الفلاح فيضطره اضطرارا إلى تكبيد الدواب ما

لاطاقة لها به . لو كان لديه المال لاستطاع أن يبتاع حمارين بدلا من واحد ، وزوجين من البغال بدلا من زوج ، ولأمكنه بذلك ان يقسم العمل عليها فلا تنهك دوابه أو تجهد إنه الفقر الذى يدفع الفلاح دفعا إلى محاولة استخلاص أكبر قدر من الطاقة الحيوانية فى أقل زمن ممكن ولو أدى ذلك إلى سقم الحيوان وكلاله . المرض ، لايفهمه الفلاح ، ومادام الحيوان يستطيع أن يقف على سيقانه وأن يأكل ما يقدم اليه ، فانه يستطيع كذلك أن يجر أضخم مركبات النقل ، ويحمل قناطير السلع ، ويدير الساقية طوال النهار ، وأحجار الرحى فى بعض القرى ولدساكر .

خامسا : فقدان الحيوان بعض قيمته .

نظرة إلى الماضى نرجعها فماذا نرى ؟ نرى أرضا زراعية شاسعة ممتدة الأطراف على ضفتى النيل ، لاترابط ولاتتصل إلا بوسائل النقل الحيوانية وأعنى بها : الدواب . كان المصريون منذ قرن أو يزيد يستخدمون الحمير والخيل والإبل فى تنقلاتهم وسفراتهم ، فكان الحيوان يحتل مكانه فى كل بيت : بيت الفقير وقصر الموسر . وكان كل فرد يحرص على دابته حرصه على فرد من أفراد أسرته أو عضو من أعضاء جسمه . وكانت عنايته به تكاد تفوق عنايته بنفسه وصغاره ، نظرا لمكانة الدابة السامية . أما الآن ، فقد انتشرت وسائل المواصلات المختلفة ، وأصبحت الحمير والخيل وسواها من حيوانات الجر والحمل ، أداة ثانوية فى حياة سكان المدن .

هبطت قيمة الحيوان عما كانت عليه من قرن ، فأهمله عدد كبير ممن كانوا يحملونه وسيلة انتقالهم ، وشرع أصحاب الأعمال الكبيرة يؤثرون السيارات والقطر فى نقل متاعهم وبضائعهم ، لسرعتها وحسن إعدادها وقلة نفقاتها . أدى ذلك تدريجا إلى سد باب الرزق فى وجوه عدد كبير ممن كانوا يعيشون على نقل البضائع بين جنبات البلاد ، وأصبحوا مضطرين إلى قبول أقل أجر يعرض عليهم نظير قيامهم بخدمات ترهق دوابهم .

ثم بدأ بعض أصحاب الضياع الكبرى فى مصر يدخلون الآلة فى الحقل ، فاضحوا والحالة كذلك ، فى غنى عن حيوانات النقل يبيعونها فى الأسواق لراغبى شرائها .

وهكذا بدأ الحيوان يفقد مقامه ، بينما استطاعت الآلة أن تنال القدح المعلى من عطف أصحاب المزارع والراغبين فى الانتقال ، وخسر الحيوان هذا العطف وأخفق إلى حد ما محاولة إستعادته .

والقسوة على الحيوان ، لا تكون بتحميله ما يزيد على طاقته فحسب ، بل تكون بضربه بالسياط ، وحرمانه من العلاج والراحة والعلف ، وهذه أمور يجب أن يصان الحيوان منها . فالحيوان يحس الألم ويشعر بالتعب والاجهاد ، ويتحرق إلى الماء عطشا ، ويحتاج إلى الراحة ، ولكن أنى له بجميع هذه الحقوق فى بلد لم تستطع أن تكفلها لسكانها وقاطنيها من البشر ؟

فما هى النتائج إذن التى ترتبت على هذه القسوة ؟ وأى أضرار نتجت عنها ؟

أولا : إنتاج لبنى قليل لا يفى بحاجة البلاد . فالأبدى التى تحلب الماشية أشطرها ، لا تقرب لبنها ولا تطعم الزبدة المستخرجة منه ولا الجبن بمشتقاته وأنواعه ، هذا "القريش" وهو حثالة الجبن . " ثم إن معظم الأنواع الموجودة فى مصر من اللبن رديئة إذا قيست بالأنواع الممتازة فى البلاد الزراعية الأخرى "[1] .

ولو علمنا أن اللبن أجود غذاء فى مصر لأنه يحوى جميع العناصر الغذائية الصالحة ، لأدركنا عظم الخسارة التى تمنى بها بلادنا من جراء تهاونها فى العناية بماشيتها والقسوة عليها فى أعمال السخره المضنية . " والواقع أن استخدام الجهد البدنى للماشية هو أشد الوسائل خسارة فى الاستغلال . فالفلاح يستخدم البقرة أو الجاموسة فى حرث الأرض بالمحراث والرى بالساقية وفى درس المحصول بالنورج وإلى عهد قريب جدا كان يستخدمها فى طحن الحنطة والبذرة فى مطاحن ثقيلة رديئة ... فالفلاح المصرى الفقير معذور فى استخدام الجهد البدنى للماشية على هذا النحو الخاسر لأن فقره يحول بينه وبين استخدام الآلات "[2] .

ثانيا : نتاج لحمى غير جيد .

والنتاج اللحمى للماشية المصرية ليس جيدا لأن الإجهاد المضنى والقسوة القاصمة ، أديا إلى هزال الماشية وإلى هبوط المستوى الغذائى فى لحومها . واضطرت مصر ، إزاء هذا القصور الجسمى ، إلى استيراد الماشية بأنواعها من الخارج . وقد بلغت قيمة الأغنام التى كانت تستوردها من الخارج قبل الحرب ثمانين ألف جنيه سنويا ، وبلغت قيمة ما كانت تستورده من الماشية والجاموس سبعين ألف جنيه ، ومن الجمال مائة وخمسين ألف جنيه .

---

(١) راجع مقال " الثروة الحيوانية الضائعة " مجلة الشؤون الاجتماعية مارس سنة ١٩٤٣

(٢) راجع المصدر السابق .

ثالثا : سلالة ضعيفة هزيلة :

منذ اليوم الذى فيه افتقد الحيوان رحمة الإنسان فلم يجدها، منذ ذلك اليوم والإنسان الحيوانى فى هبوط نوعى وعددى ، مما حدا ببعض المشتغلين بالدراسات الحيوانية إلى التفكير فى تحسين سلالة الماشية المصرية عن طريق تلقيحها بحيوانات مستوردة منتخبة ولو أن الفلاح المصرى عرف كيف يعنى بماشيته العناية الصحيحة اللازمة ، ولو أنه أدرك نتائج القسوة على الحيوان لاستطاع أن يصون قواها و يكسب نسلا قويا ممتازا .

فكيف إذن نعالج الموقف الحيوانى فى مصر ؟ وكيف نستطيع أن نقى الحيوانات شر القسوة والإهمال ؟ وكيف نستطيع أن نصلح ما أفسدته الأيام فتصبح ثروتنا الحيوانية فى مرتبة لا تقل عن مرتبة ثروتنا الزراعية ؟

إن الإصلاح المرجو لن يكون صادرا إلا عن الفلاحين ومن هم على شاكلتهم ممن يقومون بتربية الحيوان فيجب علينا أول كل شىء أن نعلم الفلاح حتى يصير واعيا بأحوال الحياة ، مدركا للخير والشر . فإن الفلاح لا يزال يرسف فى أغلال الجهل الثقيلة القاسية ، وما فتئ يحتاج إلى إرشاد مقوم يفتح عينيه على حقائق الأمور ، و يزيل عن بصره و بصيرته غشاوة الجهالة الغاشمة .

والتهذيب ، إما أن يكون مباشرا ، و إما أن يكون غير مباشر . فالتعليم المباشر يكون بعقد فصول يحضرها الفلاحون لإرشادهم عن وسائل العناية بماشيتهم وزراعتهم وأجسامهم أما التعليم غير المباشر ، فيمكن للفلاح أن يكتسبه من المعارض النموذجية التى تقام ، والمباريات التى تعقد لاختيار أفضل أنواع الماشية ومكافأة أصحابها .

و إن الوسيلة الوحيدة لتحقيق التهذيب المباشر هى تعميم الدراسة الزراعية فى المدارس الإلزامية والمدارس القروية الابتدائية ، فيصبح التلاميذ على علم بأضرار الشدة والقسوة على الحيوانات و بحقوق الميدان التى يجب صونها .

" فعلى الحكومة أن تنهض بالدعاية بين الشعب ، فالشعب المصرى أغلبه لا يقرأ ولا تتغلغل الثقافة الزراعية الى قرارة نفسه ، فالدعاية أمر واجب على أن تكون بسيطة بقدر تفكيره البسيط أيضا حتى تنتج أثرها . ولعل الحكومة تكون قد خطت خطوة صحيحة عند تنفيذها مشروع المراكز الاجتماعية ووضع خبير زراعى فى كل مركز يرشد الأهالى إلى مايجب أن يكون والى الوسيلة العملية مع إقناعهم بكل ما يقول لأننا نطمع فى الأخذ بيد هذه

المراكز الاجتماعية والاكثار منها بعد الحرب ، لن نطمع فى وضع سياسة ثابتة تؤدى الى تعميمها فى القطر كله فى مدى خمس سنوات من أول سنى السلم القادمة "[1] وسوف يجد الفلاح فى هذه المراكز الاجتماعية ما يحتاج اليه من الارشاد للعناية بحيواناته إبان مرضها ، والشفقة عليها من السخرة والعمل المرهق .

وثمة وسيلة أخرى لإرشاد السذج من أصحاب الحيوانات والمعنيين بها . فيمكن للحكومة ولجمعية الرفق بالحيوان القيام بطباعة منشورات مصورة سهلة اللغة سلسة الأسلوب يستطيع العامى أن يستوعب محتوياتها عقب قراءتها أو سماعها من أحد زملائه . كذلك يمكن اتخاذ المذياع وسيلة لنشر مبادئ الرفق بالحيوان فى القرى والدساكر ، وتوجيه أنظار الفلاحين الى ما للأطباء البيطريين من مقدرة على معالجة الحيوانات المريضة والمشرفة على الموت . وذلك لأن الفلاحين ما فتئوا يشكون فى قدرة الأطباء على علاج الحيوانات ، وما برحوا يؤمنون بالقدرية التى تسرى على الحيوان سريانها على الانسان .

ولما كانت الحيوانات المصرية هزيلة البدن ، قليلة الانتاج ، بفعل القسوة والاهمال والسخرة ، وجب علينا أن نحاول تحسين أنواع هذه الحيوانات باتباع سياسة " التلقيح الانتخابى " ، أى سياسة استيراد أجود أنواع الحيوان من الخارج وخلطها بالحيوانات المصرية لتحسين سلالتها وإعادة القوة البدنية التى كادت تفقدها بفعل ما تقوم به من جهد جهيد فى فلاحة الأرض .

وكذلك يجب تشديد المراقبة فى شوارع القاهرة والمدن الكبرى حتى يطمأن الى إن عربات النقل التى تجرها الدواب ، لم يبالغ فى تكديسها بالبضائع ، مع تشديد عقوبة السائق الذى يعود إلى تحميل الحيوان ما يزيد على طاقته ، ليكون عبرة لغيره . وإنى أرى أنه يحسن مجازاة أصحاب البضائع الذين يقبلون أن ينقلوا بضائعهم على عربات النقل بإفراط دون شفقة بالحيوان .

كذلك يحسن بالحكومة عدم الترخيص " لعربجى " بمزاولة هذه المهنة مالم يتعهد بأن يحرص على معاملة الحيوان معاملة لا شدة فيها ولا تحامل ، ومالم يستوثق الموظفون المختصون من أن السائق ملم بالقوانين التى تعاقب على القسوة على الحيوان .

---

(١) راجع مقال " وسائل تنمية الثروة الزراعية فى مصر " للدكتور أحمد فاضل الخشن — مجلة الشئون شهر ديسمبر سنة ١٩٤١

ولا يغيبن عن أعين الحكومة أن مساقى الحيوان تحتاج إلى بعض رعايتها . فقد نشرت جريدة منبر الشرق فى عددها الصادر يوم الجمعة ١٤ يوليه سنة ١٩٤٤ ما نصه "توجد بجهات بورسعيد مساقاة للحيوان يستعملها الإنسان كذلك، ولكنه لا يستعملها فى الشرب فقط بل إن الأمر يضطره فى بعض الأحيان إلى التبول بجانبها متخذا من جدرانها سترا " وهذه حالة يؤسف لها فى ثغر مصر الثانى .

ولما كان عدد المساقى قليلا، وجب زيادتها والعناية بها حتى تكون صالحة لشرب الحيوان فى أى وقت .

* * *

ولو استطعنا تحقيق جميع هذه الرغبات أمكننا أن نقضى على داء القسوة على الحيوان ولأصبح فى مقدورنا أن نكفل للعجماوات حقوق الرحمة والرأفة والعلاج .

وديع فلسطين

المحرر بالمقطم — القاهرة

ولو كانت الأرزاق تعطى على الحجى هلكن إذا من جهلهن البهائم !

" المتنبى "

علم الأمومة وعلم الأبوة وعلم الزوجية

للأستاذ عريان سعد

لقد فرغ العالم وفرغ الشرق من النقاش فى أمر تعليم البنت وأصبح الكلام فيه كأثبات البديهيات التى لا تحتاج الى الإثبات .

وانتقل العالم وانتقل الشرق الى النقاش فيما يجوز للبنت أن تتعلمه وما لا خير فى أن تتعلمه وقارب هذا النقاش أيضا الإنتهاء فى العالم وإن لم ينته بعد فى الشرق انتهى الى أن للبنت أن تتعلم كل شئ ودخلت المرأة كل سبل الحياة حتى الجندية الخطرة — جندية الطيران وقذف القنابل .

ونحن هنا لا يزال بيننا نقاش بل لا نزال نحول بين البنت وبين بعض الكليات .

أمر تعليم البنت إذن لم يعد فى حاجة الى القرارات توضع لتنفيذها ولكن الذى أريد أن أضعه أمام القارئ هو شئ جديد — علم جديد يجب أن تختص البنت بدراسته .

البنت تتعلم التاريخ والرياضة والجغرافيا واللغات وتدبير المنزل ومبادئ الصحة والحياكة وغيرها مما له صلة بالمنزل — وليس لى هنا شأن بما تدرسه البنت فى دور تعليم البنين إنما أنا أعرض لما تتعلمه البنت فى دور تعليم البنات تلك الدور التى تعد البنت لتكون أما وربة منزل .

تتعلم البنت كل ما يعدها لتشغل مكانا محترما فى المجتمع وكل ما يعدها لأن تكون ربة منزل تحسن إدارته وتقوم على سياسة الأسرة الداخلية أحسن قوامة تعنى بالثياب والصحة والنظافة وغيرها .

ولكن هل هذا كل ما فى الأسرة ؟

حين تصبح ربة المنزل أما تواجهها مشاكل أطفالها النفسية فهل تعلمت فى المدرسة ما تواجه به تلك المشاكل ؟

وقبل هذا حين تصبح البنت زوجة وتواجهها أزمات الخلاف مع زوجها هل تعلمت فى المدرسة ما يعدها لمواجهة تلك المشكلة وما يعينها على تخطى عقباتها بنجاح ؟

الجواب على كلا السؤالين مع الأسف بالنفى .

فليس فى برامج التعليم فى مدارس البنات تعليمهن شيئا عن نفسية الأطفال وما يصلح لكل طفل من أنواع الإرشاد لقد ثبت أن للوراثة فى تكوين شخصية الطفل أثرا بعيدا يربو على أثر البيئة وليست الوراثة قاصرة على ما يرثه الطفل من أبيه وأمه بل أنه يرث صفات من أجداده البعيدين ولهذا تجد الإخوة متباينين فى شخصياتهم لأن كلا منهم ورث من السلالة التى انحدر منها غير ما ورث أخوه فهذا أقرب لأبيه وهذا أقرب لجده أو لأبى جده وهكذا .

لذلك تجد الأم نفسها أمام أطفال مختلفين فى التأثر بما يحيط بهم من مؤثرات .

فلو أن الأم تعلمت فى المدرسة ما تواجه به مختلف الحالات النفسية التى تظهر على الأطفال لاستطاعت أن تنشئ الأطفال تنشئة صالحة مبنية على العلم لا أن تسير طبقا لمزاجها الشخصى إن كان مزاجا حادا نشأت أطفالها بالشدة والعنف والشدة والعنف يصلحان طفلا ويفسدان آخر وان كانت لينة العريكة ضعيفة الإرادة نشأت أطفالها على اللين والهوادة واللين والهوادة يصلحان طفلا ويفسدان آخر .

لو أن البنت تعلمت فى المدرسة علما لا تتعلمه البنات اليوم فى المدارس لأن البرامج خلو منه لأمكنها أن تسوس كل طفل بما يصلح له .

أسس هذا العلم أصبحت مقررة بما كشفه علم النفس وعلماؤه من خصائص النفس ومدى استجابتها لمختلف المؤثرات ولكن الذى لم يوجد حتى الآن هو الكتاب المدرسى الذى يجمع السهل من قواعد علم النفس بين دفتيه فتدرسه البنت كما تدرس الحساب والتاريخ ولك أن تحكم على أى العلوم أفضل علم التاريخ الذى يحدث البنت عن الحروب والغزوات وصلات الدول بعضها ببعض أم علم الأمومة الذى يرشدها إلى ما تقود به طفلها نحو الكمال أو ما يقرب من الكمال .

لو أن الإنسان راجع برامج التعليم وقد جرد نفسه من العادة أيشعر بأن هذه البرامج وضعت لبنت

هل من الخير للبنت أن تتعلم فى المدرسة مبادئ الكيمياء والطبيعة وحل المعادلات الحسابية — وأنا أسلم بأن هذه توسع أفق التفكير — أم خير لها أن تلقن طرقا لعلاج مشاكل الطفولة وعلل الأطفال النفسية وأن تدرس تلك العلل ومنشأها وهل هى مكتسبة أم موروثة إلى آخر ما وصل اليه علم النفس .

علم النفس أصبح اليوم علما يشمل نظريات ثابتة الصحة ولكن لم يؤخذ منه ما يصلح لأن يدرس فى مدارس البنات فى مختلف سنى الدراسة تبدأ بالسهل وتتدرج بالصعب كما أخذ للمدارس من علم التاريخ وعلوم اللغة والحساب والهندسة .

الذى أريده بهذه الكلمة أن يذكر المربون والقائمون على تعليم البنات — فى معاهد تعليم البنات خاصة — أن البرنامج الموضوع لهن الآن خلو من هذا العلم الذى تحتاج كل أم إلى معرفته والالمام به .

وإذا كانت مبادئ الطب تدرس للبنات لكى تستطيع الواحدة منهن العناية بجسم طفلها فأولى وأحق أن تتعلم البنت شيئا من علم النفس يرشدها إلى تنشئة طفلها تنشئة صالحة قد يقال أن امهاتنا قد استطعن أن يربين هذا الجيل ولم تكن لهن خبرة بعلم النفس وردى على هذا هو أنهن لم يتعلمن حتى ولا القراءة والكتابة فاذا رأينا ذلك نقصا تلافيناه بفتح المدارس للبنات فانتم إذن هذا النقص الإضافى باضافة علم النفس إلى برامج تعليم البنات .

لا أريد بعلم النفس هنا ما كان خاصا بالمسائل الاجتماعية العامة كبحث أسباب الجرائم أو غير ذلك انما أريد مشاكل الطفل وحدها دون غيرها على أن هذا العلم إن كان ضروريا للبنت بل حيويا لها فانه فى رأيى لازم للبنين فان تربية الأطفال والعناية بهم وأن وقع عبئها على الأم لأنها هى التى تلازم الأطفال فى البيت إلا أنها شركة بين الأم والأب ويجب أن يكون الأب ملما بالنظريات التى تطبقها الأم فى اصلاح عوج أطفالها وإلا اختلف معها وعارضها وهذا الخلاف وهذه المعارضة شر من جهل الأم بما يجب أخذ الأطفال به كأن الأطفال يتخذون من خلاف الأم والأب وسيلة للنجاة من العقوبة أو للظفر بشئ من التدليل بالالتجاء الى أحد الطرفين فى غفلة من الآخر أو يحل بهم من آثار هذا الخلاف شر لا يعرف مداه .

من الخير إذن أن يكون فى برامج التعليم للبنين شئ من هذا العلم وإن قل عما يجب تدريسه للبنت ولكن يكفى لأن يدرك الوالد أن تصرفات الأم مبنية على علم صحيح عرف هو بعض أصوله .

إن برامج التعليم كما هى تبدو كأنها وضعت لأولاد ان يتزوجوا ولن يصبحوا آباء إنها تعد الولد لأن يكون رجلا نافعا فى الهيئة الاجتماعية يؤدى فيها عملا إما كمحام أو مهندس أو طبيب أو عامل فى أحد المصانع ولكنها لا تعد أحد من هؤلاء ليكون أبا لأطفال يحتاجون الى الارشاد المختلف باختلاف أمزجتهم .

كل من هؤلاء يتعلم وينال شهادة تدل على صلاحيته لأن يكون أهلا لعمل من الاعمال ولكن العمل المشترك بينهم جميعا وهو عمل الأبوة البرة فلا يعلم أحدهم شيئا عنه .

كذلك البنات يتعلمن ما يصلح الواحدة منهن لأن تكون ربة بيت ومدبرة بارعة لمنزل واما تحسن العناية بصحة طفلها أى بجسمه وتحسن مساعدته ولو فى المراحل الأولى من الدراسة أى تحسن العناية بعقله أما روحه وأما نفسيته وشخصيته فإنها لاتستطيع إلا أن تلقى عليها شيئا من ظل شخصيتها هى .

أما علاج الروح والنفس والشخصية إن بدا على إحداهما عرض من أعراض الشذوذ وأما العناية بها عناية صحيحة غير ضارة فهذا ما لاتتعلمه البنت .

يجب إذن أن يعمد رجال التعليم إلى تقرير دراسة علم النفس سنين متتابعة للبنت والولد على أن يكون حظ البنت منه أوفر .

ويتبع ذلك أو يسبقه جمع سهل النظريات فى هـذا العلم وتبسيط لغته ثم التدرج إلى ما هو أصعب ووضع ذلك فى كتب مسلسلة كما وضع التاريخ والجغرافيا وغيرهما من العلوم فى كتب سهلة تناسب مراحل الدراسة وأن يطلق على هذا كله علم الأمومة وعلم الأبوة .

قدمت هذا لأن الأطفال تاج الأسرة وثمرة الزوجية وكان الترتيب الطبيعى أن أتحدث أولا عن الزوجية التى تنتج الأطفال ولكن أهمية تنشيء الأطفال والعناية بهم وهى أهم ما فى الزوجية جعلتنى أقدم الكلام عن علم الأمومة وعلم الأبوة على علم الزوجيـة وهو ختام هذه الكلمة .

يتعلم الولد وتتعلم البنت وبرامج تعليم الولد والبنت تعد الولد للكفاح فى الحياة وتعد البنت لإدارة البيت ولكن المدارس لاتعد أحدهما لما يشترك فيه الأولاد جميعا والبنات جميعا ينفرد كل ولد بمستقبله عن زميله هذا يصبح محاميا وذلك طبيبا أو تاجرا أو صانعا أو زارعا ولكنهم جميعا يتحدون فى أنهم يصبحون أزواجا وآباء وتصبح البنات زوجات وأمهات .

اذا تعلم الولد ونال أجازته وأقبل على عمله الذى يكسب منه ايراده أو بالتعبير القديم رزقه فما كل ذلك الا لكى يصبح اهلا لأن يتزوج ويكون لنفسه أسرة . أليس غريبا إذن أن تعد الولد اعدادا كاملا لأن يكسب الا يراد الذى يساعده على الزواج وتكوين الأسرة ولا تعلمه شيئا عن الزوجية وعن الاسر .

لو أن غاية الحياة أن يكسب الولد وأن ينفق كسبه كما يتفق لكانت برامج التعليم برامج سليمة لايمكن أن يوجه اليها النقد . ليست تعين الولد على أن يصبح رجلا ذا إيراد ينفقه ؟

ولكن غاية الحياة ليست كسب المال إنما كسب المال وسيلة لإنشاء أسرة سعيدة .

لهذا أرى أن برامج التعليم اليوم وهى تتجه بكل قوتها الى اعداد النشء للكسب بينما لاتوجه لفتة واحدة الى الغاية وهى انشاء الأسرة أرى أن ببرامج التعليم نقصا يكاد فى نظرى يشبه الأمية .

نعم هى أمية تلك الحالة التى يواجه بها الشاب مشكلة الزواج ومشاكل مابعدالزواج .

هو طبيب أو عالم اقتصادى أو قانونى أو غير ذلك ولكنه يجهل كل شىء عن طبيعة المرأة وعن سياسة المرأة بعد أن تصبح زوجة .

ولا أدل على أميته فى هذه الناحية من أنه يستوى هو والأمى أمام هذه المشكلة ومايثيرها من مشاكل، الامى يواجه مشاكل الزوجية بعواطفه والمثقف يواجهها بعواطفه .

لم يدرس العالم المثقف شيئا عن طبيعة المرأة ولا عن مشاكل الزوجية فى المدرسة فهو إذا نجح فى حياته الزوجيه فالفضل فى ذلك للصدفة واذا فشل فالسبب فى فشله جهله بمشاكل الزواج لأنه لم يتعلم شيئا منها فيما تعلم ولم يسهر ليلة لدراسة شىء منها كما سهر الليالى لمراجعة أسباب فشل هذا الفائد أو سر نجاح ذاك .

أليس عجيبا أن يتعلم الشاب مايعينه على كسب المال الذى يؤهله لانشاء الاسرة ثم لايتعلم شيئا إطلاقا عن سياسة تلك الاسرة أو مجابهة مشاكلها .

علم النفس خليق بأن يرشد الشاب الى مايصلح لزوجته أن وجدها غاضبة عابسة وعلم النفس فيه مايرشد الفتاة الى كسب رضاء زوجها .

وعلم النفس فيه حل لألف (زوبعة فى فنجان) مما ينشب فى البيوت خصوصا بيوت الزوجية الحديثة فهو يجعل كلا من الزوج والزوجة أوسع صدرا والين عريكة إذا نشب خلاف على أتفه الأمور فبدل أن يعد الرجل كل خلاف بينه وبين زوجته مسألة كرامة وبدل أن تعد الزوجة كل إغضاء من الزوج انقضاء لعهد حبه يستطيع كل منهما أن يجد فى علم النفس الذى درسه تفسيرا لأمر يجر على من لم يتعلمه متاعب الخلاف وتوتر العلاقات

لست أقصد بالخلاف ذلك الذى يصل الى المحاكم الشرعية والمجالس المحلية و إن كان الكثير منه من السهل التخلص منه لو أن الزوج والزوجة درسا فى المدرسة من علم النفس ما يتصل بالمزاج والطبع .

ولكنى أقصد تلك الزوابع الصغيرة القصيرة التى تثور لأتفه الأسباب أو لغير سبب ثم تنقضى بكلمة غير مقصودة أو بابتسامة عابرة تلك الغيوم التى تنغص الحياة الزوجية بغير سبب .

أعتقد أن هـذا يكفى لأن يفكر المشرفون على التعليم لأن يستخلصوا من كتب علم النفس ما يصلح لعلاج مشاكل الزوجية الباكرة خاصة وأن يضعوا ما يستخلصون فى كتب تدرس ولو حصة فى الأسبوع حتى يعدوا الشاب للزوجية كما يعدونه للكفاح فى الحياة وحتى يعدوا البنت لمشاكل الزوجية كما يعدونها لادارة البيت وتدبير شئونه .

أما أن تبقى برامج التعليم قاصرة على إعداد الشباب والفتيات للمادى من الحياة فذلك خليق بعالم لا زواج فيه ولا زوجية أو خليق بعالم الزواج فيه خلو من الخلاف بين الزوج وزوجه كأنما فرض أن ليس بينهما خلاف فى الرأى أو الذوق أو الطبع .

أما والزوجيـة تنتظر كل شاب وكل فتاة والخلاف على التافه وغير التافه من الأمور تنتظر كل زوجين فان خلو برامج التعليم مما يعد الشاب والفتاة للزوجية وخلافاتها نقص لا يغتفر وجوده .

عريان يوسف سعد

" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليهـا ، وجعل بينكم مودةً ورحمة ، إنّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون " .

" قرآن كريم "

نظام الأسرة فى مصر

وعلاقة الزواج والطلاق بهذا النظام

للسيدة نفيسه علام

لعلى لا أعدو الحقيقة إذا قلت إن نظام الأسرة فى مصر سواء أكان فى المدن أم القرى هو نظام واحد إلا أنه فى المدن يحتاج الى مظاهر المدنية .

وفى القرى يحتاج الى المحافظة على عادات أهل القرية . والمدنية فى المدن والعادات فى القرية كلاهما عادة ، إلا أن العادة فى المدن مكتسبة ، والعادة فى القرى موروثة . والدليل على هذا أننا ونحن فى المدينة لا نستطيع الإقلاع عن تقليد من نتخذه أنموذجا لنا فى حياة المدينة ومتى ذهبنا إلى القرية راعينا العادات الموروثة وطرحنا جانبا كل مؤثرات المدنية .

فالأسرة هى الأسرة ، سواء أكانت أسرة أسست فى المدينة ، أم أسست فى القرية . لأن الأساس واحد فى الاثنين وأعنى به الزواج .

فالزواج أساس الأسرة وتكوين الأسرة لبنة فى بناء العمران . ولكن هذا التكوين الذى نتحدث عنه يحتاج الى شىء من التفكير فى نوع المعاول التى تهدم الأسرة وتعمل بناءها إلى أنقاض .

والأسرة فى ذاتها حكومة يهيمن عليها رب الأسرة ، فالزوج المسئول الأول عن المحافظة على كيان الأسرة ، كما أن شريكته فى الحياة تضطلع بمسئولية تقرب من مسئوليته اذا أشركناها فى نظام الأسرة الاقتصادى . أما إذا أسندنا إليها وظيفتها الأولى وهى وظيفة التربية وإكساب الأخلاق لأفراخها وجعلها النموذج الحى لخادمتها ومن يعاشرنها من باقى أفراد الأسرة أو الجيران فهى تنوء تحت مسئولية جسيمة متفرعة إذا قسناها بمسئولية الرجل .

والمعروف أن نظام الأسرة عند الفقير أو الكبير يستأثر الرجل بوضعه ولا يخدش بتعرض على وضع هذا النظام حتى إذا ظهر خطأ فى نظامه هذا لام شريكته فى الحياة . وكل الأنظمة التى يضعها الرجل بمفرده مع الأسف أنظمة مرتجلة لا تمحيص فيها ولا تدقيق ولا استعراض لما حاق بالأسر التى سبقته ، ولم يأخذ درسا يفيده فى حياته الزوجية من الدوحة التى كان فيها غصنا فقد كان ابنا له أم وأب واخوة أكبر منه أو أصغر ، ولكنه يشذ عن عادات أهله وأسرته الأولى ظنا منه أن كل إنسان ميسر للزمن الذى وجد فيه .

وقد يزداد الغرور فيرى أن أباه التاجر لم يحمل شهادات ويعز عليه أن يرجع اليه ليتتلمذ عليه فى تنظيم الأسرة ، ولذلك يرتجل فى كل شهر نظاما ويجد ميزانيته العامة مختلة فيرجع فى كل شهر الى نظام جديد .

هذا إذا كان يسكن بعيدا عن أهله ليكون أسرة ويؤسس عائلة كما صنع أبوه من قبل

وهذا ما يجب أن يكون فأول معول يقوض صرح الزوجية المتين هو الخلاف الذى يدب بين الزوجة وأم زوجها .

نظام الأسرة بناء إذا بنى على الرمل ينهار ويجب أن يكون أساسه كما سنه الشرع الشريف أساسا متينا قويا وأغنى به الزواج فالزواج رباط متين يجب أن يبقى والا يدرك بهاءه الناصع أى لون من ألوان التشويه .

الزوج ولد له أم حملته كرها ووضعته كرها وأحبته أكثر من نفسها وفضلته على كل شيء عداه ولكنها فى ساعة من ساعات الهناء تفقده حبا ويذهب إلى مخلوقة أخرى هى زوجته فيمنحها قلبه ويقف عليها عاطفته وحنانه كما أنها تبادله كيلا بكيل وصاعا بصاع ويخيم عليهما طير الهناء يرفرف بأجنحة ملائكية وأغنى بها الألفة والأتحاد .

هذه المخلوقة التى شعرت بحب الزوج وعطفه وبادلته أكثر منه لا يجد كلاهما فراغا فى قلبه لغير شريكه فتظن الأم أن هذه الأجنبية سطت عليها ونزعت من فوق رأسها تاج عزتها وكرامتها وطارت بليها معه .. وأصبحت عدوتها لأنها حرمتها من فلذة كبدها .

وهناك أم الزوجة وهى فى المرتبة الثانية بعد أم الزوج هذه قد تساعد على بناء صرح الهناء الزوجى أو تقوضه مثال ذلك أن الأم لشدة حنانها ومحبتها لبنتها قد يشغل بالها تهيئة مستقبل لبنتها وتزعم أن فى هذا سعادة بنتها ولكنها تستشير كاهلة أو امرأة تحسد بنتها على هذه السعادة فتلقى بيدها أو بلسانها بلغة أفصح قنبلة دونها القنبلة الذرية فيتصدع ذلك البناء وتشقى ابنتها شقاء يلازمها حتى تزف الى القبر .

وهذه القنبلة تلقى بشكل نصيحة أولا وآخرا أو على هيئة أسئلة عما يصنعه الزوج وتأمرها بأن تظهر الغضب والتأفف ليظهر لها الذلة والمسكنة وقد تكون جريمته الكبرى أنه يساكن أمه أو يزورها من وقت لآخر .

وقد تكون الحماة امرأة لا تعرف معنى الهناء الزوجى ولكنها تطمع فى أن تجعل ابنتها من ذوات الغنى واليسار فتعمل على ابتزاز أموال الرجل فان كانت مدنية بطبعها تطالبه بالانفاق على مظاهر المدنية لتسير أكبر منها جاها وأكثر غنى ولا تقارن بين الغنية والزوج المسكين فيختل نظام الأسرة ماديا ويطيش سهمها فان كان موظفا امتدت يده الى أموال الدولة واختلس ليشبع نهم الزوجة أو أمها على وجه أصح وإن كان تاجرا امتدت يده إلى رأس المال وكان مآله الإفلاس وحسبه مباهج المدنية وزخرفها الذى أفقده ملوما محسورا .

وإن كان من سكان القرى تعددت السعادات والترشايات والمعارك الكلامية ولكن العادات الموروثة تصبح مألوفة لا يحيد الزوجان عنها فتسكن الزوجة أم زوجها ويشتغلان

فى المنزل معا أو الفيط معا (كل حسب درجته) إلا أن أم الزوجة لا تفتأ تذكر حماة ابنتها بكل قبيح وقد تحدث مشاحنات تنتهى بتداخل العائلتين، عائلة الزوجة والزوج، ويجرد كل منهما سلاحه المادى، فيخر منه القتيل والجريح، ويتولى الحاكم الأمر وتفتح أبواب السجن وتزداد الحزازات، بينما الزوج والزوجة يودان لو لم تعكر صفوهما مثل تلك الحوادث، وقد يخل رباط الزوجية بعد أن يستحكم العداء بين العائلتين، والزوج والزوجة فى حالة لا يحسدان عليها، فالزوج لا يستطيع رؤية زوجته حرصا على كرامة عائلته، كما أن الزوجة لا تستطيع أن تبوح باسم مطلقها، لأن هذا فيه كل العار ويكون الحب المنشود من الزواج، جريمة قد تعاقب عليها الزوجة بالقتل لأنها لم تجار أهلها فى كره زوجها، وليس لها نصير إلا الله، كما أنها لا تملك غير دموعها السخينة تذرفها فى صمت وألم.

فالزواج وهو أساس النظام الزواجى فى مصر، يجب أن يكون بعيدا عن كل المؤثرات ومتى يصبح الرجل زوجا يجب عليه أن يكون رجلا بالمعنى المستفاد من هذه الكلمة، فإن كان مدنيا تفاهم مع زوجته فإن طالبته بما لا يستطيع تحقيقه لعسر مالى صارحها بهذا وكاشفها بحقيقته لأنه هو المسئول الأول، فقد يحدث أن يدعى الانسان الغنى واليسار، وأن يتباهى بمركزه ويفاخر برتبه ويزيد عليه أضعافه، ليقال عنه إن فلانا ميسور وورقه يجرى بين يديه سيلا يتدفق، وقد يكون موظفا باليومية ويدعى أنه رئيس عمل يأمر وينهى، وقد يتكون أمه هى التى تمده بشىء من المال يستعين به على الحياة فيتظاهر بمظهر أكبر منه، والزوجة فى هذه الآونة لا تلام، إذ هى طالبته بالملبس الفاخر والتمتع بمباهج المدنية، خصوصا وأنه زمن خطبتها لا يضن عليها بالذهاب إلى دور السينما وأنواع الملاهى ويعودها على مشاهدة أماكن لم تسمع بها كالسباق وغيره، حتى إذا ما أصبحا زوجين، حرمها من كل تلك المباهج.

هذه الناحية الخلقية الاجتماعية، لم يتنبه إليها أحد وأنها طريق ملتو الذى يسلكه الزوج إلى صرح الهناء الزوجى ... ! فمن الملوم إذن ...

الزوجة إذا أصرت على دوام حياة الخطبة الهنيئة التى كانت سببا فى نسيان أهلها وأترابها ومنبتها وأكثر من هذا أرادت تقليد من يذهبون الى ذلك المعرض الفاخر، والزوج مسكين لا يستطيع أن يقوم بتلك النفقات، ولا يصارحها ويقول لها الحقيقة، فتظن أنه ضنين عليها بماله، وأن الكره دب بينهما، وأنه يستمع لأمه وأهله، وهى لا تجد من تشكو إليه هذا الضن إلا أمها التى تطغى عاطفتها على كل شىء، وتجد أن ابنتها مهضومة الحق، ويجب أن تفصلها عن زوجها، لأن هذا فى نظرها أكبر عقاب ينزل بالرجل، وما علمت أنه عقاب مزدوج، للزوجة النصيب الأكبر.

هذا من ناحية الايهام والغرور وهناك ناحية أخرى أشد هى تحكم الأم فى ابنها عندما تسمع أو يشكو الابن لأمه حاله ومطالبة الزوجة بما لا يستطيع الانفاق عليها ولم يذكر الأسباب التى دعتها فتوصف الزوجة بأنها تريد خراب البيت وأنها لا تصلح له و يظهر العداء الكامن و يشتد اللجاج فى الصائح الذهبية فيمشى الزوج كالمجنون يهذى تارة و يحدث نفسه أخرى و يدخل البيت على غير عادته وتتبدل حاله وهناك تشعر الزوجة بأنها مهضومة الحق مساوية الهناء والسعادة والأسف يأخذنى و يطو يني حين أقول لبنات جنسى أننا لم نحسن التفاهم ولا إدارة الحديث الزوجى باللباقة التى يتطلبها الموقف فبدلا من أن تطفىء تلك النار التى أججتها حماتها تلقى عليها حطبا وهشيما و يتبدل الدلال نفورا . وتصبح الحياة أظلم من حياة الأعمى و إذا تدخل ناصح بينهما يكون كالموقد مصباحا بالنهار وتنتهى الحياة بالطلاق .

والطلاق شرعه الله لقطع العلاقة الزوجية إذا تعذر الامساك بالمعروف أما الرجل يستعمل هذا السلاح فى وقت يكون فيه ثائرا و بعد أن تهدأ تلك الثورة يعود إلى الندم أو بعد أن يرى نصحاءه بالأمس الشامتين فيه اليوم فهذا لا يسلم به العقل ولا يرضى الشارع بأن يكون الطلاق الذى هو قطع صلة الألفة بكلمة إرضاء لأم أو تسترا على حياة البذخ الكاذب فهذا لم يقصد إليه الشارع .

ولكن الطلاق لا يكون إلا بعد استحالة الحياة الزوجية وعدم تماسك بنيان الهناء الزوجى وأن الهواء العليل يقتلع ذلك الصدع فى هذه الساعة يحسن التطليق لأنهما لا يندمان على الفرقة .

وإذا كان الزواج أساسا للسعادة الزوجية والطلاق هو مقوضها فلنوازن بينهما وليكن التقويض فى الوقت الذى يتنافى معه البناء أو يستحيل .

ألم تر أن المرء تدوى يمينه فيقطعها عمدا ليسلم سائره

وفى ختام كلمتى هذه أريد أن ألخص ما مضى وما ضربت من أجله الأمثلة فأقول أن الزواج و إن كان أساسا فالصدق هو قوائم ذلك الصرح وحسن التفاهم أن يكون الزواج غير قاصر على المنفعة فقط ولكن يكون لغرض شريف هو تكوين أسرة خاصة كالحبة التى تنبت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة فهل أجد من بنى وطنى من يفقه قولى هذا و يعمل على إيجاد التفاهم والوئام بين العائلتين التى تحصل بينهما المصاهرة ليشتد أزر كليهما بالأخرى ونعرف كيف نعيش عيشة هنية ونحيا حياة سعيدة .

تفيده علام

مديرة مدارس جمعية أمهات المستقبل

معاول الهدم . . .

إذا أردنا إصلاح الأسرة وجب علينا أن نبحث أولا عن العوامل التى تسبب النزاع الزوجى، فنعالج مشاكل الأسرة بعلاج هذه العوامل التى تعتبر بمعاول الهدم ، وهذه فى اعتقادى خير وسيلة لمعالجة المشاكل التى نشكو منها ، إذ لا يمكن علاج الداء قبل البحث عن مواطنه .

فاذا نحن بحثنا عن العوامل التى تسبب التفرقة بين الزوجين ، وتثير النزاع فى البيت ، وجدنا فى مقدمة هـذه العوامل عدم التوافق بين الزوجين ، واختلاف نظرة كل منهما الى الحياة ، فما يبدو فى نظر الزوج رذيلة يجب النهى والنأى عنها ، تعده الزوجة فضيلة يجب التمسك بها ، وما يعتبره الزوج نافلة لا ضرورة اليه ، يبدو فى نظر الزوجة فرضا لا بد منه ، وباختلاف نظرة كل منهما الى الأمور ، وتباين آرائهما ، ينشأ النزاع الزوجى ويدب الخلاف وتكثر المناقشة والمجادلة دون أن يقتنع أحدهما برأى الآخر أو يؤمن به ، وهذه بوادر الانفصام، إذ أن التوافق الروحى بين الزوجين ، شرط من الشروط التى يجب توافرها، ومن واجب كل زوج وزوجة، أن يحرص على تعرف ميول شريكه ، ليستطيع أن يرضيه دائما، وأن يتجنب ما يثير سخطه وغضبه ، وأن يعمل كل منهما من جانبه على بقاء الصفاء العائلى وعدم تكديره بالنزاع ، فان كلمة طيبة من أحد الطرفين ، قد تزيل أسباب سوء التفاهم ، وتقرب وجهتى النظر، وتعيد الهدوء والصفاء ... كما أن كلمة جارحة يعثر بها اللسان فى ساعة من ساعات الغضب ، قد تكون حدا فاصلا بين الزوجين ، وهنا يجب أن أشير الى أن من واجب الزوجين أن يعملا فيما بينهما على تسوية كل خلاف ينشأ بروح مشبعة بالمحبة ، والحرص على بقاء عرى الزوجية .

ومن أسباب عدم التوافق بين الزوجين، اصرار بعض الأسر على عدم السماح لطالب الزواج برؤية خطيبته قبل إتمام مراسم الزواج ، وهذه فكرة خاطئة، وخيمة العاقبة، إذ أن الشرع الحنيف قد أباح لطالب الزواج رؤية عروسه قبل الزواج لأنها الشريكة التى ستقاسمه الحياة، فيجب أن يأنس كل منهما فى شريكه التوافق، والا كانت حياتهما جحيما، لاختلاف الآراء ، وتباين الميول ...

* * *

ويلعب المال دورا خطيرا فى مشاكل الزواج ، فهذا رجل يقترن بفتاة طمعا فى مالها، فاذا ما تم الزواج ، أو بعبارة أقرب الى الصحة والواقع ، إذا ما تمت الصفقة ، ولمست الزوجة طمع الزوج فى ثروتها دب الخلاف بينهما ، وانتهى الأمر إلى الفراق ...

وهذا الزوج آتاه الله بسطة فى المال ، ولكنه لا يحسن التصرف فيه ، فينفق بسخاء فى أبواب لا تستحق الإنفاق ، بينما يغل يده عن النواحى الهامة ، فتضيق الزوجة ذرعا بالحياة ، وتنفصم عرى الزوجية ...

وهذه زوجة تسرف فى إرهاق زوجها بطلباتها ، حتى إذا ما أهمل يوما فى ناحية من النواحى انقلب حبها بغضا ، وقلبت له ظهر المجن ...

وهذا زوج يريد أن يحرم زوجته من كل شىء ، ويخشى أن يؤول إليها بعض ثروته ، فيقترن أخرى تستأثر بثرائه ...

وهذه زوجة تريد أن تنفق كل دخل الزوج ، خشية أن يبقى للزوج ما يشجعه على الزواج من غيرها ، فلا يجد الزوج سبيلا إلا بالتخلص منها ...

وهذا زوج يعيش مع زوجته عيشة الكفاف ، وهى راضية قانعة ، حتى إذا ما بسط الله له فى الرزق طغى وكبر ، وتزوج من غيرها ، ونسى حق الزوجة التى قاسمته الضراء ، وشاركته المحن ، ووقفت إلى جانبه فى ساعة العسرة ...

وهكذا نرى المال فى أحايين كثيرة نقمة على الرجل أو المرأة ، فلا نغلو حين نعتبر المال معولا من معاول الهدم والتقويض .

* * *

ومن أهم العوامل التى تسبب النزع الزوجى اشتراك الزوجين فى المسكن مع أهل الزوج أو أهل الزوجة مما يثير نزاعا لا ينقطع ، وهذه مشكلة من المشاكل التى يجب أن تحسب لها حسابا كبيرا ، واستقلال الزوجين فى المسكن يجعلهما فى مأمن من هذا النزاع الذى يهدد حياتهما ، وإذا لم يكن فى مقدور الزوج الاستقلال فى المسكن فلا أقل من ضرورة الاستقلال فى حياته الداخلية : منعا للنزاع .

* * *

وتنازع السلطة عامل آخر من عوامل النزاع بين الزوجين ، فالزوج يريد أن يكون صاحب الكلمة العليا فى البيت والزوجة تريد أن تفرض سلطانها وتبسط نفوذها لتشعر وجودها ، وهنا تتصادم الرغبتان ، وفى مقدور الزوجين تقسيم الاختصاص فيما بينهما تقسيما يكفل احترام كل منهما للآخر ، منهما شريكان متضامنان ، يتعاونان على ما فيه إسعاد البيت وهناؤه .

* * *

أنتقل بعد ذلك إلى التحدث عن عامل آخر من عوامل الهدم فى كيان الأسرة ، وهو أثر الوشايات والأكاذيب التى يختلقها الناس ، والاشاعات الباطلة التى تطلقها ألسنة السوء والمكايد التى يدبرها من لاخلاق لهم من الأصدقاء ، فكم من زوجة بريئة راحت ضحية اشاعة كاذبة ، وكم من بيت تقوض بمماول الأصدقاء ! .

والوشايات والاشاعات الكاذبة من أقبح الرذائل المتفشية فى مجتمعنا . نخلقها ، ونزخرفها ، ثم نروجها ، ونشيعها هنا وهناك . فى المجالس والمنتديات . تلتقطها الآذان ثم تذيعها الألسن فى كل مكان ، دون أن تتحرى حقيقتها ، أو تتبين صحتها .

أعراض الناس مضغة فى الأفواه . توصم وتلوث وينسب إليها ما هى منه براء. وأسرار البيوت تذاع وتفشى دون حساب ! .

هؤلاء المنافقون يدخلون البيوت باسم الصداقة الزائفة ، فيفرقون بين المرء وزوجه ، و يترددون على البيت حتى إذا ما حانت لهم الفرصة نفثوا سمومهم ،وقوضوا صروح الزوجية.

حذار من هذا اللون من الأصدقاء ! .

وأوصدوا فى وجوههم الأبواب .

* * *

تأتى بعد ذلك مشكلات أخرى ، فالزوج يشكو عدم اهتمام الزوجة بشؤون البيت وتدبيره واعتمادها على الخدم الذين لا يحسنون التصرف اعتمادا كليا ، وهو محق فى ذلك ، لأن الزوجة مطالبة برعاية البيت وتدبير شؤونه ، و لزوجة تتبرم من انصراف الزوج عن البيت وتمضيته معظم الوقت خارجه ، وهى محقة فى ذلك ، والزوج يشكو من اسراف الزوجة فى تدليل الأبناء وتشجيعهم على اللعب فى غيبته ، والزوجة تشكو من سوء تصرف الزوج فى الانفاق وايثاره الكمالى على الضرورى ، وكلها مشاكل يستطيع كل منهما علاجها بشىء من الحكمة والتبصر ، حرصا على بقاء عرى الزوجية ، وعدم انفصالها .

ومن الحقائق التى يجب ألا تغيب عن أذهاننا ان الأبناء هم الضحية دائما فى كل مأساة زوجية ، وهم أول من من يتحدر إلى الهاوية و يتجرعون كأس الذل والمهانة .

هؤلاء الأبناء الأبرياء هم الذين يدفعون الثمن . ويدفعونه غاليا باهظا . لأنهم يدفعون حياتهم ثمنا فى المأساة . فهم التركة المشتركة بين خصمين كانا بالأمس القريب شريكين فأصبحا خصمين . هم التركة الحائرة ، كريشة فى مهب الريح ، لا تعرف لها مستقرا ، فقد يتخطفها الطير ، أو تهوى بها الريح فى مكان سحيق .

لهم الله هؤلاء الأبرياء ، الذين يخرجون إلى الحياة ليستقبلوا النزاع ، ولا ذنب لهم ولا جريرة .

لهم الله هؤلاء التعساء الذين أظلمت الدنيا فى وجوههم ، وراحوا ضحية الحمق والجهل ، يخفى عليهم أقرب الناس إليهم . . وأساء إليهم أعز الناس عليهم ! ! ...

* * *

هـذا عرض سريع لأهم مشاكل الأسرة ، ووسائل علاجهـا ، أرمى من ورائه إلى تحديد مواطن الداء ، فان تحديد مواطن الداء وتشخيصه خير ما يقربنـا من أهداف الإصلاح ... .

عيسى متولى

" ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون " .

"من الذكر الحكيم"

ذوق الجمـــال
وأثره فى المجتمع

ما برحت الإنسانية تتطلع إلى غدها الذى يتحقق فيـه بناء عالم جديد من الخير والحق والجمال . وما زال الفلاسفة العالميون وأحرار الفكر يحلمون بالمدن الفضلة وتراودهم فكرة السلام الذى يشمل العالم جميعا ، فتمتنع الحروب وترتفع عن الأرض نقمة " مارس " وتتلاشى العداوة الكامنة بين الإنسان وأخيه الإنسان .

ولا شك أن ذلك اليوم المرقوب غير قريب، وأنه ما يزال بين الإنسانية و بينه خطوات طوال . فلندع فريق الفلاسفة الحالمين يتفاءلون ما شاء لهم التفاؤل ، ولنحاول نحن أن نشعر أنفسنا بأن معانى السعادة والخير هى فى متناول أيدينا متى أردنا ذلك وحرصنا على إرادتنا فيها . والحق أن الإيحاء جدير بأن يهيىء الواقع المحسوس من شوارد الخيال وتوافر الأمانى، وإن له لقوة على الخلق والتوليد و بعث الرغبة وتجديد الاحساس و إرباء الشعور بشىء من الأشياء ، ومن خصائصه — أو من مزاياه — إرهاف مواطن الخيال فى النفس وتنوير مراكز التصوير .

* * *

وليس فى النفس الإنسانية شعور أسبق ظهورا من الشعور بالجمال ، ولا أصدق منه فى إلهام الفطرة والمعبة البداهة . وهو المعبر الصادق عن نزعات النفس وخفايا الضمير لاتصاله بمركز العاطفة وارتباطه بالغريزة التى تتوفز أبدا بأقوى مافى التوفز من خلجة واضطرام وأيما شعور تلهمه الطبيعة وتسدده الفطرة ، فهو شعور مطبوع متعدد الجوانب فى النفس عميق القرار .

و إننا لنشعر بالجمال قبل أن نعرف ما هو الجمال. وقد نختلف فى تعريفه وتحديده و بيان خصائصه ، ولكنا لن نختلف فى الإحساس به والشعور بمزاياه التى تبدو النظر أول ما يلقاه

والجمال قبل أن يكون شية ظاهرة فى عضو من الأعضاء، فى حى من الأحياء ، هو معنى باطن يوحى إلى النفس بأنه جميل، وقد يبدهك الشىء الجميل فتراه كذلك فى جملته ولا يحوجك إلى التخصيص والتحديد . وذلك هو الشعور بالجمال .

والشعور بالجمال — أو ذوق الجمال — يتفرق فى معناه بين أشياء شتى تنتهى كلها إلى معنى الجميل .

فهناك الشعور بجمال الحياة .

وهو الشعور الذى يواجه الحياة وتكاليفها بالطلاقة والشوق والمخاطرة ، وينأى جهده عن مخالطة الألوان القاتمة والجوانب الغامضة .

هذا الشعور يعلمنا كيف نحب الحياة وكيف نراها جميلة ، لأنها هى الحياة ! ويرشدنا الى الواجب فى الانتفاع بكل لحظة من لحظات هـذه الحياة وإنفاقها فى خير أبوابها ، حتى لا تضيع ثمرة جهدنا ويقعدنا اليأس عن معاودة الجهاد ومواصلة الطماح . وهو يعلمنا أيضا كيف نعتز بحيواتنا وكيف نضن بها على الفراغ المسئوم والتضوب والجمود .

قلما نجد هذا الشعور فى دنيا الناس ! فهو لم يتمدّ حتى الآن دواوين الشعراء وأجواء الفنانين الحجاز من أنصار مذهب الطلاقة والتفاؤل ، ومسايرة مذاهب الحياة المختلفة وعدم التمرد على الأقدار .

فمتى يشعر الناس بجمال الحياة ؟ !

* * *

وهناك الشعور بجمال الانسانية .

وهو شعور الصداقة والتعاطف بين فرد وفرد ، وبين قبيل وقبيل ، وإنى لأكسب كثيرا — ولا أخسر شيئا — حين أوطد نفسى على الإيمان بالخلق الانسانى فى مظهره المعهود ، فأجتذب الى أصدقاء يكون مدارهم فى الحياة من جنس مدارى ، وأجتهد فى الأغضاء عما يكون فى شعورهم نحوى من شذوذ أو انحراف ، معللا ذلك الشذوذ أقرب تعليل الى البساطة ، فانه ليكون صادقا فى كثير من الأحيان ، ثم أنأى بأعصابى عن التسخط والغضب ، ولا أحمل شيئا ما على محمل سيىء فعندئذ أستطيع أن أعاشر كل فرد وأصادق كل شخص عند الحاجة . وإن ذلك — أو خير ما فيه — لخليق أن يزيد نصيبى من العطف والتعاطف ، ويقوى عندى عناصر المشاركة الوجدانية لأفراد الانسانية جمعاء .

وقل مثل هـذا بين أمة وأمة ، أو بين أمم العالم بأسره ، فبهذا الشعور يحيى التوتر ويتلاشى التعصب المشهود فى عالمنا الحاضر ، كالتعصب للجنس وللدين .

* * *

وهناك الشعور بجمال الإيمان ...

وإن أناسا ليطغيهم الترف المادى الحديث فينكرون كل حقيقة تتصل بأمر الروح ، ويعزون إلى المادية الجوفاء التى قادتهم إلى الاغراق فى إنكار الإيمان . وكأنهم ينكرون ذلك

الرباط المقدس بين الله والانسان ، وتلك النفحة الخالدة التى ترتفع بالبشرية إلى آفاق العقيدة العلوية .

واجب هؤلاء أن يعلموا أن الانسان روح قبل أن يكون جسدا ، وأنه عقيدة قبل أن يكون فكرا ، وإن الحياة لتفقد أكرم معانيها اذا هى مضت بغير قائد من الايمان ودافع من الروح . ولن تكون هى الحياة اذا ظلت لعنة المادة تملى عليها مذاهبها وغاياتها ، وما لم تتقدم الروح على المادة فستظل الانسانية حيث هى فى مذهب "دارون" بغير تقدم كبير !!

* * *

قلنا إن الشعور بالجمال ، أو ذوق الجمال ، يتفرق بين أشياء شتى تنتهى كلها إلى معنى الجميل .

فيتعدد الشعور بالجمال الكامن فى ظواهر الكون ومشاهد الطبيعة ، فأى معنى للجمال تلهمنا إياه عظمة الكون الكبير ، تلك الأجرام اللانهائية والكواكب الأبدية فى آفاق السما ؟

وأى معنى للجمال تلهمنا إياه قداسة الطبيعة ، فى عديد عناصرها وشتى وجوهها ؟

إن الطبيعة لصادقة حين تطالعنا بالضياء كل صباح ، وحين توافينا بالظلام كل مساء ، وذلك الصدق — إن شئت أن تسميه كذلك — سر من أسرار جمال الطبيعة ، فمتى يكون الصدق سرا من أسرار الجمال فى الانسان ؟ ؟ ومتى يكون جمال السريرة هو المعيار والمقياس لاجمال الملامح والسمات ؟ ؟

ومتى يحذو الانسان حذو أمه الطبيعة ، فيفيء الى مواطن الجمال فى نفسه ، قبل أن يتلمسها فى بواطن الأشياء ؟

إننا نؤمن بالإنسان ، فهل يصدق ذاك الإيمان ؟

* * *

وبعد ، فاذا كان ذوق الجمال يؤثر فى الفرد هذا التأثير ، فانه لا يقل عن ذلك أثرا فى المجتمع عامة . فالمجتمع الذى يسود فيه ذوق الجمال ، ويحتكم الى ذوقه الخاص فيما يأخذ وما يدع ، هو فى جملته مجتمع مثالى من طراز رفيع .

لأن ذوق الجمال ، ينبئ عن الاستقلال فى مطالب الحياة وتكاليفها ، أو هو حرية الاختيار ، بين شيئين أو جملة أشياء، ولن يكون المجتمع مستقلا بنفسه مالم يستقل، قبل، بذوقه الخاص فى مناحيه وأغراضه . ولذلك كان الجمال فى مذهب بعض عباقرة الفكر هو الحرية ! أو هو الانطلاق من قيود الضرورات إلى فضاء المشيئة والاختيار .

وإذا كان إدراك الحرية ثمرة من ثمرات ذوق الجمال ، فليس يضير المجتمع ، كائنا ما كان ، أن يتطلع الى تذوق كل جميل ، وأن يشتغل به ويشجع عليه . ولنحرص على الجمال فى كل مظانه فإنه الفاصل الحاسم بين الأثرة والإيثار ، وبين الحرية والاضطرار ؟

محمد محمود حمدان

" ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون "

" قرآن كريم "

من نماذج الإصلاح :

الاصلاح الزراعى الصناعى فى روسيا

للأستاذ يحيى هويدى

نحمد الله أن أصبح لنا من النضج فى التفكير ، ومن الشعور بالذاتية القومية ما يسمح لنا بمعالجة الموضوعات التى تتصل بالاتحاد السوفيتى على صفحات مجلاتنا وجرائدنا . وكانت من قبل من الموضوعات الشائكة التى يتحرج الكتاب من الكتابة فيها أو الإشارة إليها . ورأيى فى هذا أن من حق المصريين ، وقد شعروا أنهم يتقدمون نحو الإصلاح بخطوات واسعة ، أن يطلعوا على ما تم فى الأمم الأخرى فى سبيل إصلاحها . وهم بعد ذلك فى حل من أن يقبلوا ما أطلعوا عليه من نظم الإصلاح فى الأمم الأخرى أو يرفضوه بحسب ما يرون فى ذلك من ملاءمة هذا النظام أو ذاك لحالتنا الاجتماعية أو عدم ملاءمته . ولكن ما يهمنا فى ذلك كله هو أن يطلعوا ويستنيروا ويكونوا نظرة عالمية واسعة عوضا عن النظرة القومية الضيقة .

وليس من شك فى أن النهضة التى شاهدتها روسيا من الناحيتين الزراعية والصناعية فى السنوات الأولى من هذا القرن ، والتى وقف بإزائها العالم أجمع مشدوها لا يكاد يصدق ما يراه ، جديرة بنظر كل من يريد أن يكون فكرة عامة عن الإصلاح فى الأمم الأخرى . لا سيما وأن الصعوبات التى وقفت فى سبيل النهضة الروسية المنشودة كانت كافية لتثبيط همم المصلحين ولهدم الإصلاح من أساسه .

فكلنا يعلم حال روسيا القيصرية قبل ثورة البلاشفة . فلم تكن روسيا إذ ذاك تختلف فى كثير أو قليل عن حالة فرنسا قبل الثورة . وكان نظام الطبقات ممثلا فى روسيا أعظم تمثيل . فكانت هناك طبقة الزراع او طبقة العمال الزراعيين الذين كانوا بمثابة البقرة الحلوب للملاك وأصحاب الأراضى . وكان هؤلاء الملاك يلزمون الزراع بدفع تعويضات باهظة وأجور عالية كثيرا ما كانت فوق متناولهم وترهقهم إرهاقا لا يسعون معه الا أن يهجروا قراهم ليعملوا فى المصانع فى المدينة . وعلى الرغم من ذلك فلم تكن حالة العمال الصناعيين خيرا من حالة إخوانهم الزراعيين . فكانت الأجور منخفضة إلى حد يدعو إلى الإشفاق ، وساعات العمل تتراوح بين ١٢½ ساعة فى المناجم والمصانع ، وبين ١٤ — ١٥ ساعة فى مصانع النسيج كما

ذكر ذلك لينين فى رسالته الصغيرة . " إلى فقراء القرية " . وأحب أن أشير هنا إلى أنه يجب ألا يفهم عند الحديث عن العمال الصناعيين أن الصناعة فى روسيا فى هذا العهد كانت متقدمة بحيث نستطيع أن نسميها صناعة على وجه الدقة . فقد ذكر لينين فى كتابه " تطور الرأسمالية فى الروسيا " أن ٥/٦ من مجموع الشعب كانوا يعملون فى الزراعة ، أما السدس الباقى فكانوا عمالا صناعيين يعملون فى المصانع أو فى السكك الحديدية ، وهذا دليل على أن الرأسمالية فى روسيا كانت زراعية فحسب ولم تكن صناعية شأنها شأن البلاد الرأسمالية الأخرى التى جمعت بين الصناعة والزراعة ، وفى مقابل هذه الطبقة ، طبقة العمال الزراعيين والصناعيين كانت هناك طبقات أخرى تمثل الأوستقراطية والرأسمالية الحقة . فهناك طبقة الملاك وأصحاب الأراضى فى القرية مضافا اليهم أصحاب الأعمال فى المدينة ، وكان يعاون الملاك فى جمع الضرائب وفى تنفيذ أوامر القياصرة جماعة يدعونهم "الشرفاء" كانوا يسومون العمال الزراعيين والصناعيين العذاب ألوانا . وكانت هناك طبقة أخرى تتوسط طبقة الملاك من ناحية وطبقة العمال الزراعيين والصناعيين من ناحية أخرى وأفراد هذه الطبقة ليسوا أرستقراطيين لأنهم كانوا عمالا وأثروا ثراء فاحشا ، ولنسمى هذه الطبقة " أثرياء الطبقة المتوسطة " أو جماعة الكولاكس The Kulaks .

ولم يكن نظام الطبقات هذا أو سوء توزيع الثروة فى روسيا هو العقبة الوحيدة التى وقفت فى سبيل النهضة المنشودة ، بل أن الزراعة والصناعة فى الروسيا كانتا فى العهد الذى سبق الاصلاح متأخرتين الى درجة يتعذر معهما كل اصلاح ، فكانت المصانع مزودة بآلات بالية عفى عليها الزمن ، ولم يكن ليتسنى لها أن تجارى التقدم الصناعى الجديد ، وكانت الصناعات القائمة فى الروسيا حينذاك صناعات خفيفة لا تصلح لتقويم أمة تقويما صناعيا صحيحا ، فكان الأمر بحاجة الى أن يستبدل بتلك الصناعات صناعات ثقيلة تفيد الاقتصاد القومى ، وتصلح لتقويم الجيش ولتزويده بما يحتاج اليه من العدد والآلات . ولم تكن الزراعة بأحسن حالا . فقد كانت زراعة متأخرة ، قليلة الانتاج ، لا تستند الى الآلات بل كانت بدائية تقوم على مجهود الفلاح اليدوى .

وليس هذا فحسب . بل لم تكد تبدأ الروسيا فى الاصلاح المنشود ، وفى تمهيد الطريق اليه حتى دهمتها حروب مدة خارجية وداخلية . فقد اشتركت الروسيا ضد اليابان فى الحرب الاستعمارية (الأمبريالية) The Imperialist وكان عليها أن تقاوم التدخل الأجنبى لأكثر من دولة كانت تجد فى الروسيا تحقيقا كبيرا لمطامعها فى ذلك الوقت . وقد وجدت هذه الدول التى طاب لها أن تتدخل فى مصالح الروسيا حينذاك مشجعا من الرأسماليين الروس أنفسهم ومن أصحاب الأراضى والملاك فيها . ذلك أن هؤلاء ، وقد وجدوا فى طبقة الزراع

والصناع ما يبشر باتجاه جديد أرادوا أن يقضوا على هـذا الاتجاه فى مبـدئه ، وكان هذا النزاع سببا فى قيام حروب أهلية فى الروسيا لحق البـلاد بسببها من الأضرار ما لا يقل بل وما يزيد عما لحقها من الأضرار فى حروبها الخارجية .

وليس أدل على ذلك مما وصلت اليه حالة الاقتصاد القومى فى الروسيا من انحطاط ظاهر ولا عجب فقد استمرت هذه الحروب الطاحنة قرابة سبع سنين : أربع سنين فى الحرب الاستعمارية وثلاث أخرى فى حرب ضد التدخل الأجنبى والحروب الأهلية ، فلم يبلغ الانتاج الزراعى سنة ١٩٢٠ فى الروسيا نصف ما كان عليه قبل هذه الحروب . علما بأن الإنتاج الزراعى قبل الحرب — فى ظل الحكومة القيصرية — قد وصف بأنه إنتاج قليل ضعيف ، ولم يصل الانتاج الصناعى فى هذه الفترة فى أكثر مناحيه الى ١/٧ الانتاج الصناعى قبل الحرب وأوقف العمل فى المناجم ، وعطلت طرق المواصلات . وكانت البلاد كلها تشكو نقصا ظاهرا فى المواد المعيشية الضرورية .

تلك صورة عامة للحـالة التى كانت عليها الروسيا فى الفترة التى سبقت الاصلاح . ومنها نرى أن الطريق الى الاصـلاح فى الروسـيا لم يكن ممهدا معبدا كما يظن البعض ، بل إن العقبات والصعوبات التى اعترضته كانت من الخطورة بحيث لو ألقينا نظرة عاجلة بعد ذلك على نتائج الاصلاح الروسى لما استطعنا أن نكتم شعور الإعجاب بهذا الشعب الذى تبوأ مكانه بين الدول العظمى بين غمضة عين وانتباهتها وتاريخ الروسيا فى هذه الناحيـة نموذج طيب للنهضات الاجتماعيـة الناجحة التى ترتفع بالأمم من الحضيض الى أعلى عليين ، ولا يهمنا فى هذا الطريق الذى سلكه الروس فى الاصـلاح لذاته بقدر ما يهمنا أن نعرف أن هناك أمما ارتفعت الى الذروة وكانت من قبل تفتقر الى كل شىء ، ويعوزها كل شىء . وهذا حافز طيب للأمم الصغيرة لتنهض ، وفيـه رد على الذين لا ينظرون الى حالتنا الحاضرة مرة إلا ريثما يرجعون ببصرهم يائسين من الاصلاح داعين للتكاسـل والخذلان . اللهم إنا نسأل لهؤلاء الصمت ، كما نسأل للمتفائلين ذوى العزائم القوية العمل والانتاج .

نظرت الروسيا الى نفسها وهذه حالتها فلم تيأس ولم تتردد لحظة واحدة فى سبيل التقدم نحو الاصلاح . وكانت هناك عقبة كؤود تقف فى سبيل الاصلاح المنشود فضلا عما ذكرنا من عقبات ، فهـذه المشروعات الضخمة التى أعدها المصلحون كان يعوزها المـال — المـال هو العدو اللدود الذى يقف فى وجه كل مشروع فردى أو اجتماعى فيهده من أساسه ويقضى عليه . وقد رأت الروسيا أن الأمم الرأسمالية قد نجحت فى التغلب على هـذه العقبة بأن اقترضت الأموال اللازمة لها من الدول الأخرى أو ألزمت الدول المغلوبة على أمرها

بتعويضات مالية كبيرة . ولم تكن تملك الروسيا فى ذلك الوقت أن تلزم أية دولة بتعويضات مالية ، فضلا عن أنها لم تستطع أن تفترض شيئا من الدول الرأسمالية لرفض هـذه الأخيرة أن تقرضها . فكان عليها إذن أن تجد المـال فى داخل البلاد نفسها ، ولا تلجأ فى الحصول عليه الى الخارج ، وقد وجدته فعـلا ، فقد استولت الحكومة السوفيتية على جميع المصانع والطواحين والأراضى من الملاك وأصحاب الأعمال وسيطرت على جميع رسائل المواصلات والبنوك والتجارة الداخلية والخارجية ، وأصبحت الدولة هى المالكة لكل شىء ، فتوفر لديها من هذا كله ثروة هائلة كانت تضيع فى أيدى الرأسماليين والطبقات الاستغلالية (كطبقة الكولاكس) الذين لم يكونوا يعبأون بأى إصلاح . وقد لجأت الحكومة الى توفير المال من طريق آخر ، فقد ألغت حقوق الملاك فى أراضيهم ، وأصبح هؤلاء لا يملكون حق التصرف فيها . وقد رفعت الحكومة بعملها هـذا عبئا ثقيلا كان يرزح تحته العمال الزراعيون الذين كانوا يرغمون على دفع الأموال الطائلة للملاك . ووفرت بهذا جميع هذه الأموال الى العمال أنفسهم . ومن ثم وجد هؤلاء العمال أنفسهم فى معسكر ما يسمح لهم بالمساهمة فى مشروعات الإصلاح التى عهدتهم عنها الحكومة ، والتى شغفوا بها داخل فى بلادهم . والآن ما هى هذه الإصلاحات ؟

الإصلاح الزراعى

بدأت الحكومة السوفيتية بأن قامت بتوزيع الأراضى توزيعا عادلا . فأعطت الفلاحين الذين لم يكونوا يملكون شيئا فيما مضى نصيبهم فى الأراضى . وقضت بذلك على التفرقة الطبقية التى كانت قائمة بين كبار الملاك والفلاحين . غير أنها سرعان ما اكتشفت خطأها فى هـذا التوزيع ، ووجدت نفسها وجها لوجه أمام مشكلة من أعقد المشاكل . فقد كانت الضياع الواسـعة التى يملكها الملاك وأصحاب الأراضى فيما مضى قادرة على توريد الشىء الكثير من المحصول الزراعى — وقد كان فائضا عن حاجة هؤلاء الملاك — إلى السوق فى المدينة . وكان هـذا الجزء الهام من المحصول الزراعى السنوى مفيـدا جل الفائدة للمدنيين . إذ كانوا يعتمدون عليه أولا وقبل كل شىء فى الاستهلاك .

وكان الجيش يشترى ما يحتاج إليه من خبز ومحاصيل أخرى للاستهلاك من هذا الجزء من المحصول الفائض عن حاجة كبار الملاك . ولكن الحال اختلفت تمام الاختلاف . فقامت الحكومة بتوزيع هذه الضياع الواسعة ، وتلك المساحات الكبيرة على جميع الفلاحين . ولكى تترك لكل شخص الحق فى الملكية فقـد انتهى الحال بهذه الضياع إلى أن أصبحت ضياعا ضيقة ، وضيقة جدا فى بعض الأحيان وكانت النتيجة الطبيعية لهذا أن أصحاب هذه الضياع

الضيقة ما كان فى وسعهم ، لضيق مساحة أنصبتهم من الأرض ، أن يوردوا إلى السوق شيئا من المحصول لكى تستهلكه المدينة. ومن ثم أصبحت الحكومة عاجزة عن تموين المدنيين من ناحية والجيش من ناحية أخرى بما يحتاجون إليه من المحاصيل الزراعية. وخيم شبح المجاعة على المدينة ونظر الرأسماليون وأصحاب الأملاك الذين نكبوا فى أرضهم إلى النظام الجديد نظرة ملؤها السخرية من ناحية واليقين بعودة الحكومة إلى النظام القديم من ناحية أخرى .

لعلاج هذا الخطر الداهم كان أمام الحكومة طريقان : إما العودة إلى النظام القديم فى توزيع الأراضى، نظام الضياع الواسعة ، وفى هذا رجوع بالنظام الشيوعى إلى القهقرى وإجحاف بالطبقة الزراعية أى إجحاف. وواضح أن هذا الطريق لم يكن فى مصلحة الحكومة. أما الطريق الثانى فيرمى إلى إدخال نظام الضياع الواسعة فى النظام الشيوعى وصبغه بهذه الصبغة الجمعية أعنى أن هذه الضياع الواسعة لن يقوم بزراعتها الأفراد كل على حدة بل ستزرع بطريقة جمعية تكفل توريد كميات وافرة من المحاصيل الزراعية إلى المدينة . وبهذا تتفادى الحكومة المجاعة التى كانت تهدد المدنيين ورجال الجيش. فهذه الضياع الواسعة التى ستزرع بطريقة جمعية لها هذه المزية من ناحية ، فضلا عن أن الزراع سيستطيعون فى ظل هذا النظام الجمعى إدخال النظم الآلية فى الزراعة . وهذا ما كان يصبو إليه الزراع والحكومة معا لتوفير كمية أكبر من المحاصيل. فعلى الحكومة إذن أن تقنع الزراع (عن طريق الإقناع وحده وليس عن طريق القوة) أن يقلعوا عن الطريقة الفردية فى الزراعة و يستبدلوا بها الطريقة الجمعية الجديدة .

وقد قال الرفيق ستالين فى اجتماع اللجنة المركزية للمؤتمر الشيوعى فى جلستها الخامسة عشرة فى معرض الكلام عن هذا الخطر الداهم ، قال : " فالطريق الوحيد أمامنا هو أن نحول الضياع الصغيرة المنتشرة الى ضياع متسعة متحدة قائمة على نظام زراعى جمعى . يشد أزره الآلات الزراعية الحديثة وتغذيه أحدث الطرق العلمية فى الزراعة . وليس هناك طريق للخلاص إلا هذا " .

والمهم من هذا كله أن نلاحظ أن الزراعة فى روسيا لم تعد زراعة فحسب . بل زراعة تشد أزرها العدد والآلات. أعنى أنها أصبحت زراعة صناعية. يقول ستالين " إننا نمر الآن بمرحلة خطيرة تتحول فيها بلادنا من قطر زراعى إلى قطر صناعى " .

أقبل الناس على النظام الجديد ، النظام الجمعى فى الزراعة شيئا فشيئا وأخذت الحكومة فى إقناعهم بصلاحيته . ولكن أفراد طبقة " الكولاكس " لم يقروا الحكومة فى خطتها الجديدة. ولم تجد المحاولة فى إقناعهم شيئا. ولما أعيت الحكومة الحيل فى إقناعهم بالإذلاع

عن النظام الفردى ، أصدرت أمرها بمنع تأجير العمال الزراعيين ما داموا قد أصبحوا ملاكا ولم يعودوا عمالا فحسب . ولما كانت طبقة " الكولاكس " تعتمد على العمال الزراعيين فى زراعة أراضيها ، فقد اضطرت بعد صدور القانون بحظر تأجيرهم لأنهم لم يعودوا أجراء ، اضطرت الى تسليم أراضيها . وبهذا حلت الحكومة مشاكل عدة .

١ — فقد تخلصت من أكثر الطبقات استغلالا فى الروسيا ، وهى طبقة الكولاكس . وبذلك قضت على آخر الطبقات تمسكا بالنظام الرأسمالى .

٢ — وقد نجحت الحكومة فى إقناع أكثر الطبقات العمالية عددا وهى طبقة الفلاحين بأن ينتقلوا من نظام الزراعة الفردية التى ليست إلا طريقا من طرق الرأسمالية الى نظام الزراعة الجمعية .

٣ — وقد ثبتت الحكومة بهذا القرار أقدام النظام الجمعى التعاونى فى الزراعة . ولجأت الحكومة بعد ذلك إلى تقسيم الروسية إلى مناطق زراعية ينفذ فيها النظام الجديد سنة بعد أخرى لتضمن له الانتشار (أ) شمال القوقاز ووسط الفولجا وجنوبه . وقد كانت هذه المناطق مستعدة للنظام الجديد لوصول الآلات الزراعية الحديثة اليها . (ب) أوكرانيا ومنطقة الأرض السوداء ، سيبريا ، والأورال . وقد حدد لهذه المناطق أن يتم فيها الزراعة على أساس النظام الجمعى عام سنة ١٩٣٢ . (ج) وحدد للمناطق الأخرى وكانت تشمل منطقة موسكو وجمهوريات وسط آسيا الخ عام سنة ١٩٣٣ . والواقع أن هذا التقسيم قد أفادت منه البلاد فائدة عظيمة وشهدت سنة ١٩٣١ على وجه التحديد بتقدم هائل فى النظام الجمعى ، وبإقبال شديد عليه . فقد أصبح ٨٠٪ من الأراضى حتى هذا العام تزرع بهذا النظام .

البقية فى العدد القادم

يحيى هويدى
المدرس بأسوان الثانوية

تجميل الريف المصرى

مقارنة بين القرية الأجنبية والمصرية

١ — القرية الأجنبية :

سنحت لى الفرصة عام ١٩٣٤ بزيارة بعض القرى السورية والفرنسية فكان أول منظر استلفت نظرى هو أن الوصول إلى هذه القرى لا يكلف عناء أو مشقة فهناك شبكة من المواصلات بالسكك الحديدية و بالطرق الزراعية الممهدة المرصوفة والقطار والسيارة والعجلة جميعها فى خدمة الزائر ولقد زرت فى يوم واحد خمس قرى تبعد كل واحدة منها عن الأخرى نحو الستين ميلا بل وأكثر ، ومما يسر النفس أنه بكل قرية منها قوم يأتزرون بثياب الريف الفضفاضة هناك نساء فى خفر وحياء وعمل دائب يشترك فيه أعضاء الأسرة جميعها فاذا أصبح الصباح نهضت الفلاحة تعد الطعام للأسرة من لبن وقريدة و بطاطس وخبز وزبدة و يتناول الكل طعام الصباح فى وقت واحد على مائدة واحدة ثم يذهب كل إلى عمله فالرجل إلى حقله والولد إلى عمله والبنت الى ترقيها الشريف والزوجة ترعى مملكتها وكل شئ بنظام بالبقر مزايد لا تجبر السباكر وليكنها غير بعيدة عنها وللحياج أكوام يعدانها من شبالى السلك وأرضها تكنس وترش بالماء كل يوم و يبذل للدواجن من العناية الصحية بالغذاء والماء والتهوية مالو بذل فى العناية بأبناء الفلاحين لانحسر الريف بالأصحاء الأقوياء الخالين من العاهات والأمراض .

(مشاهدة بقرية اريحا بالشام) : واذكر أن جميع القرى الأجنبية بها مايع للماء النقى القراح أما أفراد الأسرة فان الحكومة الحامية تسهر عليهم وترعاهم وماعلى الأم إلا أن تودع أطفالها فى روضة الأطفال الملحقة بمكاتب القرية وهناك يجد الأطفال معلمة بل أما شفيقة ترعاهم وتحنو عليهم وتغذيهم إذا جاعوا وتكفكف دموعهم إذا بكوا وتلقنهم مبادئ التربية والتعليم ومحبة الله ومحبة وطنهم ومحبة المدرسة فاذا فرغت الأم من عمل اليوم سعت الى أطفالها لتعود بهم إلى دارهم غانمين كاسبين ومما هو حرى بالذكر أن نظام القرى الأجنبية يجعل العقبات أمام المنتجين ممهدة فالمحصول إذا نضج يسهل تصريفه إذ الأسعار واحدة فى جميع القرى والفلاح أمام شركات التعاون وشركات الغذاء لا يتباع منتجاته بجملة فأحرى بأسرة الريف الأجنبى بالسعادة .

٢ — القرية المصرية :

الان ونحن فى قرية مصرية وفى مصر تختص السكك الحديدية بالمدن دون القرى فلا تركب سيارة ولكن الطرق الزراعية مملوءة بالحصباء وأكثرها غير ممهد بل والطرق الزراعية الرئيسية عندما تلاصق قنوات الماء فتهبط سريعا بضغط المرور فى معظم العام وما فى كل مره تسلم السيارة لهذا كان اعمار السيارات فى القرى قصيرة . الآن نحن على أول دروب القرية فليهبط الركب حتى يعالج السائق ايلاج السيارة فى فوهة الدرب أو الحارة . والقرى المصرية محرومة من نعمة الطرق والشوارع الصالحة لمرور السيارات والمركبات وحسب ابن آدم أن يمر على دابة . أما حشر الجمل ووقوعه بما حمل فى أزقة الريف فحادث مألوف كل يوم . الآن نحن على عتبة دار الفلاح فإذا قصدت الدخول فالغالب أنك تهبط عن مستوى الطريق ولا تحاول وصف داخل منزل الفلاح ولكنا نصف حياة أفراد أسرته فأول المبكرين فى الاستيقاظ الزوجة حيث تحمل جرتها وتنشط إلى النهر والقناة مرة أو مرات وفق الحاجة . ثم يستيقظ الرجل ليكرع أقداح القهوة السادة ويتمل نفسه ويقصد حقله وكل ذلك قبل شروق الشمس أما أولاده فاذا طلعت الشمس طلوعا بدأوا مقددا فى خرقة وأقاموا الجاموس والماشية إلى المرعى فإذا كان الظهر اعدت المرأة وعاءها بصيدة أو جبن وبصل ومخلل أو خضار من مخلفات العشاء فاذا أقبل الكل الف أفراد الأسرة حول (طبلية) ليأكلوا مما طبخ بالعسل أو الدسم . فحالما تتخلف الزوجة عن تناول الطعام حتى تأمن شبع الزوج والعيال وحسبها بعد ذلك بقيات أو فتات تفضل عن زوجها وأولادها . فاذا هى الماشية عطشى فليبحث لها عن ماء رائق من عين أو ساقية أو (طلمبة) واذا هى أفراد الأسرة عطاش فليشربوا من ماء الترع والقنوات حيث يختلط طين وقدر وجراثيم واذا هى الطير والدجاج وسائر الدواجن فى عقر الوخ وأمامها قصعة أو صحاف للماء الآسن شربا لها وللقدر والبعوض والقاش نصف العذاء . واذا هم أفراد الأسرة وحيواتهم وطيرهم بين أربعة جدران طوال الليل .

٣ — رجل القرية المصرية يقص على حالته :

سنحت لى الفرصة بضعة أيام فى زيارات للقرى المجاورة لمدينة فشاهدت الفلاح المسكين وقد ارتدى ثوبه الفضفاض الأزرق وحزم وسطه بحبل ليقى لكى يقوى ظهره وأمسك بفأسه وشمر عن ساعديه وأخذ يعزق الأرض ليهيئها للزراعة وقد تصبب العرق من جبينه وحل به التعب من كثرة العمل تحت الشمس المحرقة وذلك الحر اللافح الذى ينهك القوى ويضعف الأبدان . اقتربت من أحد الفلاحين وسألته عن حاله فقال إنى أشبه بذلك الطائر

الذى يبكر فى صباح كل يوم لتحصيل قوته وجلب رزقه والناس نيام اهجر مرقدى وأنا فى لذيذ نومى لايثنى عزمى زمهرير البرد ولا هجير القيظ وقد وهبنى الله قوة الصبر على هذا العمل الشاق والجلد فيما يعترينى من صعاب الحياة أحب النشاط فى العمل ولا أعرف التأنق والكسل . أمشى فى مزرعتى حافى القدمين وها أنت ترى بهما آثار التشقق وأنا أغوص بهما فى الماء الكدر الذى يحمل الجراثيم الفتاكة ثم طلبت منه أن يخبرنى بمعيشته فقال إن نفسى لاتميل إلى صنوف الطعام والشراب كما هى عادة الحضر بل أكتفى بالقليل من الزاد والعيش على ماتخرجه أرضى من الحب والخضر وما تدره ماشيتى من اللبن وكثيرا ما أتحف السماء وأفترش الغبراء وأشعر من هذا كله بوخز فى الضمير ولكننى لا أهاب الصعاب تعترينى لأن المولى عز وجل وهب لى صحة جيدة فى هذا الفضاء الواسع إذ يهب على عليل النسيم فى كثير من الأوقات فيكسبنى لذة ونشاطا وبذلك تهش نفسى للعمل وتزول مصاعب اليوم حتى إذا طالعنا النهار بنوره كنت مجدد القوى تبدو على محياى أمارات النشاط فاستقبل اليوم من جديد أعمل فيه طول النهار ولا أرتاح إلا فترة الكزمة أو حين آوى إلى مضجعى .

تركت هذا المسكين ثم عوجت على القرية لاستشف حال أهلها فإذا هى جملة منازل صغيرة خالية من زينات المدن وبهجتها غير متناسبة فى أوضاعها وأشكالها وقد بنيت جميعها باللبن والعروش من عيدان الأذرة . والأكواخ الحقيرة الضيقة من فروع الأشجار وقد طليت بالطين ويحتوى كلا منها على خرف ضيقة لأبواب قليلة النوافذ وطيئة السقف حتى لاتسمح للرجل الكامل أن يقف بها معتدل القامة وهى غير صحيحة لأنها لم تتوافر فيها الشروط الصحية ولأنها حرمت الهواء النقى وضوء الشمس الساطع وعلاوة على ذلك أن حظيرة الماشية مجاورة لغرف النوم وكوعات روث البهائم تخرج منها رائحة كريهة لاتطيقها النفس ولا تصبر على احتمالها وفوق هذا وذاك لاتجد فيها وسائل الراحة عند المساء لما تسمعه فيها من أصوات الماشية المختلفة ونباح الكلاب التى تحرس المنازل وصوت الضفادع فى البرك ومجارى الأنهار وغير ذلك من الأصوات المقلقة عند ذلك شعرت باهمال من أولى الأمر ويصعب من جهة رقابة الحكومة التى تركت حبل الشؤون الصحية على غاربها وجعلت الفلاح الذى على كاهله تتوقف ثروة مصر الزراعية يشرب الماء الكدر الملوث بجراثيم البلهارسيا وغيرها من الأمراض الفتاكة ولم ترشده الى الطرق الصحية الواجب اتباعها حتى يسلم من شرها ولم تردم البرك والمستنقعات بل تركتها مرتعا للبعوض بنشر الملاريا بين الفلاحين ويسبب لهم الهلاك والدمار . الآن وقد دخلنا فى عهد جديد فانى أتفاءل خيرا من عهد الفاروق بأن تضع الحكومة المسئولة قوانين عادلة تفرض على كل مالك أن يمهد لمزارعيه حياة صحية صالحة بأن يشيد القرية الصالحة للسكن حسب نظام القرى النموذجية التى أعدتها وقد بادرت فى انشائها الجمعية الزراعية الملكية فلاقت كل نجاح وتوفيق ولم تزد تكاليف المنزل الواحد عن الخمسة والعشرين

من الجنينات . كذلك نود التبكير فى انشاء المدارس على اختلاف طبقاتها لتعليم صغار الفلاحين ولينفعوا البلاد فى المستقبل العاجل فعليهم تقوم حضارة مصر والمصريين والسرعة فى ايجاد مصارف المياه والعمل على ردم البرك والمستنقعات فتقل الأمراض ويسلم الفلاح من شرها ويجب مضاعفة المستشفيات بأنواعها لكى يعيش الفلاح عيشة انسانية تكفل له السعادة .

والواجب الأول يقضى على كل مصرى بتحسين حالة الفلاح وقريته المصرية .

٤ — مطلع الاصلاح :

المدرسة الالزامية ستطلب أبناء هذه القرية وبناتها منذ الحول السابع فهل هم أصحاء البصر والحواس أقوياء البنية وهل غذاؤهم موفور فى الدار أو فى المدرسة وهل يدخل جوفهم ماء يرويهم ويحييهم أم أدواء تصنيهم وتمتص دمهم وتشحب سحنهم هذا ماسنحاول معالجته فى الأبواب القادمة .

٥ — معلم القرية (هو رسول أمين أو غوى مبين) :

قبل أن نحاول أن نضع الشروط لاصلاح القرية المصرية من الوجه العام نبدأ فى اصلاح عقول أهلها بواسطة معلم القرية الذى هو الرسول فى تعليم صغارها فمنه يسمعون ولأمره يطيعون وبه يقتدون فان صلح شب النشء على مثاله ونسجوا على منواله وان حاد عن الطريق السوى فتح أمامهم طريق الغواية فكبكبوا فيها وهون عليهم سبل الضلالة فولجوها وأصبح أهل القرية بين ضال ومضل ومفتون ولا يجب أن ينظر معلم القرية الى مركزه المالى فيزن نفسه بميزان الخسف ويعيش على الدنيا صاخبا ولحظ نادبا ومن أعماله متبرما فيفسد عليه وجدانه ويصبح عدوا لأهل زمانه . لا أكون مغاليا اذا قلت أن مسئولية معلم القرية أخطر من مسئولية الوزير وأكبر من مسئولية شيخ الجامع الأزهر لأن الذى يتولى تهذيب النشء انما يتولى تكييف مستقبل الأمة بأجمعها فهذا اما يسيرها الى الشقاء أو الى السعادة فى مستقبل أيامها فلمعلم القرية أن ينظر الى أبناء القرية نظرة عطف واصلاح وانما سيحاسب عنهم أمام الديان فى اليوم الأخير اذ هم أمانة فى عنقه .

البقية فى العدد القادم

فضل جورجى

الأمومة أو هو وهى

للكاتبة الفرنسية الخالدة — جورج صاند

معربة بقلم الأستاذ مختار الوكيل

هذه قصة غرام عنيف غريب استبد بفؤادى فنانين فذين : هما الرسامان تيريز (مدموازيل جاك) ولوران .

ولكن أى تباين بين طباعهما وأى اختلاف عظيم بين مزاجيهما .

فهذه تيريز امرأة تنطوى على رقة وعطف شديدين ، وهى مطبوعة على السماحة والأريحية ومزاجها عاطفى ولكن بقدر ، ويغلب على طبيعتها الميل إلى المنطق السليم الهادئ وهى — إلى ذلك — كثيرة التأمل ، عريضة الأحلام ، تهوى المناظر الريفية ذات البهاء القشيب ، وتعيش على الأحاسيس الرقيقة النقية . وهى فنانة خصبة الخيال ، وافرة الذكاء وإن كان ذلك الذكاء — على الأرجح — ليس أصيلا فى نفسها لأنها سريعة التأثر بمن حولها من الأصدقاء . وجملة القول فى وصفها إنها تعمل الى تجميل الحياة وتهذيب المشاعر .

أما صاحبها لولان فهو شاب عصبى متقلب الأهواء كريشة فى مهب الريح . إنه (الطفل) المدلل المتلهف . . . هو مرهف الإحساس عظيم الأنانية ، متأهب على الدوام لاستقبال الحب ، وواثق أبدا من أنه سيكون محبوبا معشوقا . على أنه مع ذلك سهل التقلب ، مولع بالحياة ، لا يقنع أبدا بما يصيب من مسراتها ، سريع اليأس والقنوط . وهو على جانب عظيم من الذكاء والجاذبية . وكان قد عرف الرذيلة وانغمس فى الخطيئة وهو حدث ، ولعل ذلك هو السبب فى أنه لن يظفر أبدا بالسعادة التى لا تتهيأ إلا حيثما وجدت البساطة والفؤاد النقى الطهور . . . . . .

وهكذا يسهل علينا القول أن تيريز ولوران سيظلان ماعاشا انجذاب الضد الى ضده أنهما روحان يتعجلان الفناء والدمار لأنهما متخابان أو لأن ذلك هو مصيرهما المرسوم المحتوم فيما لهما من روحين شقيين معذبين . . .

ولتيريز ماض مفجع شديد القتام . شاءت الأقدار أن تأتى هذه الدنيا فلا تعرف لها أبا تنتسب اليه وتفاخر به اترابها . أما والدتها فتعيش اليوم بعيدة عنها ، بعد أن هجرت زوجها الغليظ الطباع الصخرى الفؤاد ، وحتى ولدها ، طفلها الوحيد العزيز قد انتزعه والده من أحضانها ، عند ما انفصلت عنه ، ولم تلبث أن جزعت فى أمومتها الحالمة الساحرة عند ما انتهى اليها أن طفلها قد مات بعيدا عن صدرها . فلا شىء أمعن غرابة وأشد هولا من

الحوادث التي صادفتها تيريز في حياتها حتى الآن . فيالها من فتاة مسكينة مفقودة النسب ، ومن أم بجعتها الاقدار في طفلها ومن امرأة منكوبة في زوجها . وهل من الشطط أوالجور القول بأن الزمان قد ادخر لها في جعبته قدرا هائلا من الشقاء والألم . . . .

ومن عجب أنها تفت هذه الصدمات الموجعة ثابتة الجنان قليلة الاحتفال. فهي تداب على العمل الفني الشاق بدارها البيضاء المزهرة التي تقع بحي الشانزيليزيه المعروف في باريس. ولقد أصبحت الآن رسامة ذائعة الصيت ذات آثار فنية محترمة مرموقة ، وكانت حقيقة بأن تظفر بالسعادة لولا أن ظهر في حياتها لوران ليفسد عليها عيشتها ويسحق فؤادها. وهكذا شاءت الأقدار الساخرة في عنفها العابث . أن تستيقظ في صدرها من جديد عاطفة الأمومة الجريحة عند ما تقبل على حب لوران الساحر الذي سيكون مصدر شقائها في مقبل حياتها .

ولقد شاء الله أن يكون لوران من أهل العبقرية ، فذاع صيته كرسام عظيم على الرغم من صغر سنه ، فقد كانت تيريز تكبره بسنوات . بيد أنه كان غريب الأطوار — أجل، كان أنانيا فاسد الخلق عظيم الاهمال . كان لا يقبل على فنه الا اذا واتاه الوحي والالهام . لم يستشعر قط الرضا والقناعة ولم يذق للسعادة طعما . وكان ثريا على لدين ، يضمر الاحتقار لكافة النساء . لقد مل الحياة وزهد فيها وهو ما يزال في مقتبل الشباب . ولعل ذلك هو السبب في أنه كان دائم التغيير ، ويبحث عن الحب في كل آن . . . .

وكانت تيريز له بمثابة الرفيق المخلص والصديق النصوح . لقد كان يستشعر شيئا من الرضا والسعادة وهو الى جوارها. انها تعرف كيف تعامله وكيف تطببه وتنتزعه من جوه المظلم وأفكاره السوداء . وتيريز هي الأخرى في حاجة الى رفيق . وها هي ذي تحبه الآن كما لو كانت أمه الصغيرة ، ولكن أي طفل فاسد مدلل ذلك الرسام الغوي . . . .

انها تريده على أن يكون أكثر انتظاما في عمله الفني، وان يكف عن انهاك نفسه في مثل هذه الحياة الفاسدة التي يحياها . وهي تدرك أنه رسام عبقري، وانه لذلك لا حق له في أن يبدد صحته ويدمر حياته . . .

ولا يلبث لوران أن يجد نفسه وقد غمرها حب تيريز. ولكنه يجاهد أول الأمر في اخفاء عواطفه ومداراة أحاسيسه، فهو لا عهد له من قبل بالحب الصادق المشبوب ، ولعل هذا هو سبب شقائه ومصدر بلواه . . . لقد كان يعوزه الحب . . . أما اليوم فهو يجد سيدة محترمة ، ولكنها غامضة . ومع ذلك فهو يطوي صدره على عواطف مختلفة هي مزيج من الطيبة والدهشة والغرور. وهو يرى في ماضي تيريز لغزا غامضا مستعصيا على الحل. لم يحدث قط أن تحدثت عن نفسها ، ومع ذلك فهو يراها سيدة محترمة قد ارتفعت فوق الظنون والشبهات . . . .

ولا يلبث لوران أن يشعر بأنه لا مندوحة له من أن يحب أو يموت . وهو يتوق الى الظفر بفؤاد تيريز مهما يكن الثمن ، وقد بدأ فى عاطفته الطاغية الجديدة ذا شخصية تلتقى فيها الموءة والرقة بالقسوة والعنف البغيض .

ولقد ناضلت تيريز بادىء الرأى نضالا عنيفا فى سبيل مقاومة حب لوران. إنها زاهدة فى ذلك الحب ، بل إنها ترهبه . وهى تفضل عليه أن تدوم بينهما الصداقة القديمة العزيزة. بيد أنها تكن للوران فى أعماقها حبا عذبا رقيقا ، أشبه ما يكون بما تضمره الأم لولدها . ولقد انتصرت عاطفة الأمومة هذه على وقارها وزراتها ، وجعلتها تؤثر أن تكون خليلة لوران على أن تفقده الى الأبد .

وهكذا ودعت تيريز المسكينة المستضعفة حياتها الهادئة المفعمة بالعمل المفيد وبدأت تستقبل عهدا مفعما بالعواطف المتأججة المتلظية . . .

كان لوران أول الأمر رائع الحماسة متدفق المشاعر . لم يكن له عهد بمثل هذا الهدوء السابغ وهذه السعادة الكاملة . إنه يحمد الله فى كل يوم على ما يحسن به من حب مخلص نبيل ولكن سرعان ما يشعر لوران بالسآمة والملل ، فقد أضحت تيريز مجردة أمامه من غموضها القديم منذ كشفت له عن دخيلة نفسها. اجل ، ان الحياة الهادئة الرتيبة لا تناسب طبيعته المتقلقلة العاصفة . وهو لا يتريث ولا يصطنع الاناة وانما يتعجل افساد تلك القصة الغرامية العظيمة . . وهكذا لا يتردد لوران فى ايذاء تيريز بكل بذىء ساقط من القول . انه يرغب فى هجرها والعودة الى عيشته الفاسدة الآثمة فهو يشعر بحاجته الدائمة الى مشاعر وأحاسيس جديدة توحى له بأعماله الفنية ، وهو لا يحجم عن أن يبادرها قائلا " المرأة هى المرأة مهما كانت ، وفى وسع الرجل أن يرضى رغباته مع احط النساء قدرا على النحو الذى تتيحه له ارفعهن شأنا . . "

انخلع فؤاد تيريز وأحست بالألم والحسرة القاتلة . لقد ضحت المسكينة فى سبيل حب لوران بسمعتها واستقرارها . أن أحدا لا يحترمها لأنها خليلة لوران ، وهو الى ذلك معروف بفساد الخلق وسوء السيرة . غير أن ذلك كله لا يمكن أن يعادل محبة قلبها المهيض. ومع ذلك فهى لا تزال ترجو أن يتغير لوران آخر الأمر ، بيد أن لوران لا يزداد الا عفا وإمعانا فى أفكاره المريضة . .

وهذا هو يقترح عليها أن يرحلا الى ايطاليا فلا تتردد فى قبول مقترحه. بيد أنها لا تلبث أن تتبين فى جنوا انه لم يعد يضمر لها حبا. وتحاول هى أن تباشر عملها الفنى الحبيب وأن تحمله على الرسم ، ولكن لوران لا يصغى الى نصحها . وسرعان ما يحس بالملال والسام من كل شىء . وهو يتوق الى حياته المبتذلة التى خلفها وراءه بما اشتملت عليه من نساء وشراب

وعبث. انه لا يستطيع أن ينتج عملا فنيا جليلا الا اذا انكب على هذه المائدة الدنسة وانهك حواسه وعواطفه . وتحول تيريز بمواصلة العمل المضنى أن تنسى وهى لا تشكو ولاتتوجع على الرغم من الامها ، ولكن وجهها كان شديد الشحوب وكانت تسير بخطوات المنوم المأخوذ وانصافا للحقيقة نقول ان لوران لم يكن غليظ الفؤاد. صحيح انه كان يسىء الى تيريز كثيرا ؛

ولكنه كان يطلب منها الصفح والمغفرة أثر كل اساءة . كانت روحه الظاهرة النقية تضج متألمة من فساد جسده . إنه كالمدمن على "الأفيون" ، يصمم عوده وتتلاشى قواه ولكنه لايستطيع منه فكاكا . . لقد بلغ السيل الزبى ، وسقط لوران منحدرا الى الهاوية جاذبا معه تيريز المسكينة السخية العواطف النبيلة الفؤاد . لقد كانت غلطتها الوحيدة أنها كانت مصابة بداء "حب الأمومة" .

أدرك لوران الآن ان تيريز أصبحت زاهدة فيه متمعضة منه ، ولكنه بدلا من أن يحاول استرداد حبها وعطفها ، راح يخفى عجزه تحت ستار من التهكم المقذع والاهانة الصارخة ، فهو يقول لها أنها تتبع نهجا رتيبا مملولا ، لاأثر فيه للفكاهة وأنه أصبح لايطيقها لأنها لاتقبل على مباهج الحياة ومسراتها . . أنها تمثال من المرمر البارد . ولا يلبث لوران أن يهجرها ليالى طويلة ، ويحاول فى الوقت نفسه أن يجد لها صديقا حتى يهجرها وقد أطمأن على مصيرها .

غير أن الصديق الذى يقع عليه ليس بالجديد على تيريز ، إذ الواقع أن "ريتشارد بالمر" من أصدقائها القدماء المخلصين ، وهو من أثرياء الامريكيين الذين يطلبون الاستمتاع والسرور فى النقل والأسفار . والحق أن بالمر رجل هادئ طيب القلب ، جدير به أن يأتى كل ما هو نبيل من الأعمال والتصرفات . وهو يلتقى مع تيريز فى كثير من عواطفه وميوله وخواجله . و ياطالما أبدى إعجابه بها واحترامه إياها . أجل ، ذلك هو الرجل الحقيق بأن يكفل لها السعادة . . إلا أن القدر لم يعد تيريز للسعادة و إنما نذرها لحياة متقلبة قاسية .

وعلى أثر شجار عنيف بين الحبيبين ، يوجه لوران فيه اليها سيلا دافقا من الشتائم المقذعة يقرران أن يفترقا وهكذا يخيل الينا أن قصة غرامهما قد انتهت . ويرحل لوران الى "فلورنسة" وتبقى تيريز فى "جنوا" مع صديقها المخلص بالمر الذى يضمر لها حبا عميقا طاغيا لا يلبث أن يحمله على مطالبتها بأن تكون زوجته . وتتردد تيريز فى القبول لا لأنها لا تزال تحب لوران . كلا فقد قضى على مشاعرها وعصف بعواطفها ، و إنما لأنها تخشى أن يؤاخذها بالمر فيما بعد على سابق علاقتها بلوران . و يقسم لها بالمر مخلصا أنه لن يفعل ذلك أبدا ، ولا يزال بها حتى تقبل ماعرضه عليها ومرة أخرى نستشعر صاحبتنا بالسعادة والفخار. أنها توشك أن تصبح زوجة بالمر .

وبغاة تصل من لوران برقية فحواها "لقد قاسيت تحسرت كانت لى خليلة فخانتنى ، فقتلتها . . ولقد تناولت السم ، وها أنذا أعالج سكرات الموت . . وداعا تيريز".

ولقد كان تصرف بالمر نبيلا كدأبه ، فلم يتردد فى أن يقول لها "يجب أن تذهب" وكان قد أدرك ما يضطرب فى أحشاء تيريز من حب أعمى للوران . ولعله أراد بذلك أن يتأكد من حقيقة مشاعر تيريز قبيل الزواج .

ويسافران الى "فلورنسة" فيبلغانها مساء ويجدان لوران فى فندق خلوى ، ولم يكن مشرفا على الهلاك كما زعم فى برقيته ، وإنما كان يعانى نوبة شديدة من الحمى المخية وتظل تيريز الى جانب فراشه اياما وليالى ترعاه بعين عنايتها وعطفها كما لو كانت أمه ، وتصنع المستحيل لانقاذ حياته . ويشاء الله أن تكلل جهودها بالنجاح ، فيعود الى لوران وعيه الكامل بعد مرض طويل عضال ، بيد أن ذهنه لا يزال بعيدا عن الصفاء الذى كان يمتاز به سابقا . لقد كان يفقد ذاكرته فى الكثير من المرات .

فيحسب أن تيريز لا تزال حبيبته الى الأبد . فهو يخاطبها على النحو الذى كان يتبعه فى مطلع علاقتهما العاطفية البائدة . وأنه ازداد غضبا واضطرابا لوجود بالمر . كم يتمنى أن يذهب فلا يعود .

ولقد أصبحت تيريز الآن فى موقف شديد الحروجة . ولكنها لا تلبث أن تذكره بما كان من أمره معها فى "جنوا" وتذكر لوران بما أسلف فى حقها من إساءة فيتذكر ، ولكنه يسألها الصفح والمغفرة وهو لا يزال مضطرب الذهن . غير أنه يأسف غاية الأسف من أجل ما فرط فى حقها . فهو يصرخ كالطفل مناشدا أياها العودة اليه ، بيد أن تيريز أصبحت قوية الارادة ، صحيحة العزم على أن تصبح زوجة بالمر . وهذه هى تقول له فى صراحة أنها تضمر له عاطفة الأمومة فقط فى حين أن حواسها وافكارها أصبحت كلها ملكا لبالمر . ويقف لوران على الحقيقة السافرة فتتدفق دموعه محاولة غسل جريرته . لشد ما كان مخطئا فى حق تيريز . لقد كان لوران صادقا فيما يعانيه من ألم مبرح فى هذه المرة . وهذا هو لا يرجو الآن سوى أن تتحقق لتيريز أسباب السعادة . ثم يعقد أمره على الرحيل الى سويسرا حيث اعتزم أن ينفق فترة النقه . ويمضيان أسبوعا آخر معا ، هو أسعد فترة فى حياة لوران . لقد كان كريما عطرفا مخلصا أمينا ، وتجلت روحه النقية المتبلورة على نحو لم تعهده فيه تيريز من قبل . لقد أصبح كتلة مجسمة من الرقة والشعور الفياض . ويحين يوم الفراق ولوران لا يزال يبدو فى ابتهاجه الحزين فهو يطلق الضحكات وعيناه شارقتان بالدمع .

البقية فى العدد القادم

مختار الوكيل

المطبعة السلفية ١٠٧٣٢-١٩٤٥-٣٥٠٠